Making Reference to Historical Precedents in Sultanic Etiquette Books: The Book "Adab al-Muluuk" by Abu Mansour al-Tha'albi as a Case Study

Ali bin Hassan Alnajae

Scientific Institute, Imam Muhammad Bin Saud Islamic University, Kingdom of Saudi Arabia

Abstract

History is the free space through which the human experience can be discovered in the past, and benefited from in the present. In the existing Sultanic etiquette books, there is a great deal of making reference to and quoting from history in its different eras, and across its remote geographical places. Reference has been made to a variety of issues, and a lot of quotations have been taken from historical narratives, facts, and incidents, all justified considering this a phenomenon to be investigated in this paper by adopting the historical-structural approach, with special reference to the book, The Etiquette of Kings by al-Tha'albi, both sources as two case studies, and with a view of investigating the causes of this phenomenon, and the rationale behind the obsession of making reference to history.

The study has revealed that some of these causes are related to the pragmatic field (particularly to the author), and some are historical ones surrounding the author and the text he produced; yet, some of them are related to the structure of the text itself.

The study also has shown that the reason why historicity was immanent in al-Tha'albi's works is wired with the fact that he wanted to present himself as one of the educated elites, a class that is keen on pushing the wheels of the march of the state. This entailed that he possesses an encyclopedic knowledge on history so that he can make reference to it.

The study has recommended exercising this integrative systematic practice which delves deep into the texts, analyzes and deconstructs them, and resolves their ambiguities and problems, by studying the text sometimes, by studying its author, or by linking the text to its author at other times, away from the traditional unilateral interpretation that focuses on a certain angle of the text, without paying attention to the other angles and without paying attention to the unthinkable concepts and perceptions that determine the viewpoint of the writers of the Sultanate etiquette in the political field.

Keywords: Sultanic etiquette; Abu Mansour al-Tha'albi; the etiquette of kings; the phenomenon of making reference to history

ISSN : 1026-9576

DOI : 10.34120/0117-040-159-007

To cite this article/ الإشارة المرجعية للبحث

النجعي، علي: "ظاهرة الاستئناس بالسوابق التاريخية في كتب الآداب السلطانية دراسة الظاهرة من خلال متن كتاب "آداب الملوك" لأبي منصور الثعالبي (ت 429هـ / 1037م)"، **المجلة العربية** للعلوم الإنسانية، جامعة الكويت: العدد 159، 2022، 233-268.

Al-Nǧʿī, ʿĪ: " Ẓāhrẗ Al- Āstʾinās Bālswābq Al-Tārīḫīẗ fī Ktb Al-ʾādāb Al-Slṭānīẗ Drāsẗ Al- Ẓāhrẗ mn Ḫlāl Mtn Ktāb "ʾādāb Al-Mlūk" Lʾabī Mnṣūr Al- Ṯʿālbī (t 429h. / 1037m)" , *Arab Journal for the Humanities*: 159, 2022, 233 -268 .

ظاهرة الاستئناس بالسوابق التاريخية في كُتُب الآداب السلطانية: دراسة الظاهرة من خلال كتاب "آداب الملوك" لأبي منصور الثعالبي (ت429هـ/1037م)

علي بن حسن النجعي

مدرس، المعهد العلمي بالرياض، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، المملكة العربية السعودية

الملخص

التاريخ هو المساحة الحرة التي يمكن من خلالها الكشف عن تجربة الإنسان في الماضي، والإفادة منها في الحاضر، وفي كُتُب الآداب السلطانية تتوسَّع مساحات الرجوع والاقتباس من التاريخ في أحقابه المختلفة، وفي جغرافياته المتباعدة، وتنوَّعَت مجالات ذلك الرجوع، وتلك الاقتباسات من المرويات التاريخية والوقائع والحوادث؛ الأمر الذي جعل الدراسة تَصِفُها بالظاهرة.

وتكمن مشكلة الدراسة في ظاهرة الرجوع إلى التاريخ في كتب الآداب السلطانية، وكتاب آداب الملوك للثعالبي نموذجاً. وتهدف إلى البحث في أسباب تلك الظاهرة، وعِلَل ذلك الهوس بالرجوع إلى التاريخ.

وكشفت الدراسة أن تلك الأسباب كانت تتوزَّع بين أسباب تتعلَّق بالمجال التداولي (خاصة بالمؤلف)، وأسباب تاريخية محيطة بالمؤلِّف والنص الذي أنتجه، وأخرى تتعلق ببنية النص نفسه. كما أثبتت الدراسة تاريخيَّة الثعالبي؛ بحيث كان جزءاً من مجتمعه وبيئته، وجزءاً من بنية الزمان الثقافي الذي يوجِّه كثيراً من النصوص السياسية التراثية. وأوضحت الدراسة أن الثعالبي في رجوعه إلى التاريخ أراد أن يقدم نفسه مع النخب المثقفة كجهة حريصة على مسيرة الدولة؛ ومن ثم، كان عليه أن يصبح موسوعيّاً ملمّاً بالتاريخ، مستأنساً به.

وأوصت الدراسة بتفعيل تلك الممارسة المنهجية التكاملية، التي تغوص داخل النصوص، وتحلِّلها وتفكِّكها، وتجلي غوامضها وإشكالاتها، وذلك بدراسة النص أحياناً، أو دراسة صاحبه، أو وَصْل النص بصاحبه في أحايين أخرى، والبُعْد عن التفسير الأحادي التقليدي الذي يركِّز على زاوية من النص دون الالتفات إلى الزوايا الأخرى منه، وعدم التنبّه للامفكَّر فيه من المفاهيم والتصوُّرات التي تحدِّد نظرة كُتَّاب الآداب السلطانية للمجال السياسي.

الكلمات المفتاحية: الآداب السلطانية ، أبو منصور الثعالبي ، آداب الملوك ، ظاهرة الاستئناس.

الإشارة المرجعية للبحث/ To cite this article

النجعي، علي: "ظاهرة الاستئناس بالسوابق التاريخية في كتب الآداب السلطانية دراسة الظاهرة من خلال متن كتاب "آداب الملوك" لأبي منصور الثعالبي (ت 429هـ/ 1037م)"، المجلة العربية للعلوم الإنسانية، جامعة الكويت: العدد 159، 2022، 233-268.

Al-Nğ'ī, 'Ī: " Ẓāhrī Al- Āst'ināās Bālswābq Al-Tārīḫīī fī Ktb Al-'ādāb Al-Slṭānīī Drāsī Al- Ẓāhrī mn Ḫlāl Mtn Ktāb "'ādāb Al-Mlūk" L'abī Mnṣūr Al- Ṯ'ālbī (t 429h. / 1037m)" , *Arab Journal for the Humanities*: 159, 2022, 233 -268 .

المقدِّمة

المتأمِّل لكتب الآداب السلطانية يلحظ بشكل واضح انشغال مؤلِّفيها بالتاريخ؛ بحيث يشكِّل مادة أساسية في هذا النوع من الكتابة؛ الأمر الذي جعلني أعتبرها ظاهرة، وأفْزَع إلى الكتابة عنها تحت هذا العنوان "ظاهرة الاستئناس بالسوابق التاريخية في كتب الآداب السلطانية"، وقد لفت انتباهي منذ الوهلة الأولى حينما كنت أجمع المادة العلمية لأطروحة الدكتوراه في اتجاهات الكتابة في السياسة ونُظُم الحكم في المشرق الإسلامي في العصر العباسي[1]، أقول: لفت انتباهي وأثار تساؤلي ذلك التسلُّح الكبير من كُتَّاب آداب الملوك، أو ما يُعْرَف بمرايا الأمراء بالتاريخ؛ فقد كان تاريخ العرب القديم والإسلامي، والتاريخ العالمي بشِقَّيْه الشرقي (الهندي والفارسي)، والغربي (اليوناني والروماني) هو الفضاء الرحب، والمساحة الحرَّة التي يتحرَّك فيها الأديب السلطاني، وهو العمود الفقري لهذا النوع من الكتابة، والتاريخ -في الحقيقة - ليس مجالاً للأديب السلطاني فحسب، بل مَن أراد أن يبدع نَصّاً أيّاً كان نوعه روائيّاً، أو سلطانيّاً، أو حتى فلسفيّاً؛ قد لا يكون له ذلك دون أن يستحضر درساً من التاريخ؛ لأن التاريخ المرجعية والسند؛ ولأنه يمسك بزمام مقولتَيْن من أعظم المقولات العقلية؛ مقولتَي الزمان والمكان الناظمتَيْنِ للوجود البشري، يتحرَّك فيهما الإنسان وفكره.

على أنه ينبغي التنبيه على أنَّ كتب التاريخ تتضمن بُعْداً سياسيّاً، وكتب الآداب السلطانية، وكتب السياسة بشكل عام؛ تتضمَّن أبعاداً تاريخية، والعلاقة بينهما علاقة عضوية.

تَكمُن مشكلة الدراسة في ظاهرة الرجوع إلى التاريخ في كتب الآداب السلطانية، التي تطرح عدَّة تساؤلات: ما الظاهرة؟ ومتى ظهرت؟ وما أسباب ظهورها؟ ما كتب الآداب السلطانية؟ ومتى ظهرت؟ وما أسباب ظهورها؟ وما الخلفيات والمرجعيات التي تُوجِّهها؟

أولاً: مفهوم الظاهرة

الظاهرة: كلُّ حدث يمكن ملاحظته في الطبيعة، أو في المجتمع، ويمكن رَصْدها ورَبْطها بأسبابها ومسبِّباتها، وهي عند دوركايم نموذج من العمل والتفكير والإحساس تَسُود في حياة مجتمع من المجتمعات، ويجد الأفراد أنفسهم مجبَرِين على اتِّباعها في عملهم وتفكيرهم[2].

وفي الغالب، فإن الظواهر مجالها الطبيعة والمجتمع، لكنِّي هنا حاولت الانتقال بها من مجالها السيسولوجي والطبيعي إلى مجال آخر، ظهرت فيه كطريقة وأسلوب تفكير، وممارسة في الكتابة في مجتمع مؤلِّفي الآداب السلطانية، ولم أقم بنقلها إلى هذا المجال؛ لأن ظاهرة الاستئناس بالسوابق التاريخية في كتب آداب الملوك يمكن ملاحظتها في الطبيعة أو في المجتمع، بل لأنها ظاهرة وبنية للنص متكرِّرة، يمكن ملاحظتها في هذه الكتب، تزامَنَ ظهورها مع بدايات التأليف في آداب الملوك.

وللتاريخ قيمة عند كُتَّاب الآداب السلطانية جعلته في مكان الظاهرة، فهذا الثعالبي يُفصِح في مقدِّمة كتابه عن ضرورة الاستفادة من التاريخ والسوابق التاريخية بكل صراحة، وقدَّم للأمير الساماني مأمون بن مأمون الساماني نماذج عن عِظَم الشدائد التي تَعْرِض للملوك، وجعل بين يديه سوابق تاريخية ونماذج لما عرض لخلفاء بني العباس من مِحَن؛ كالخَلْع، والإقصاء، والسَّمْل، والقتل، والتشريد، كمحنة المتوكل على الله (232 – 247هـ/ 846 – 861 م)، والمستعين بالله (248 – 252 هـ / 862 – 866 م)، والمعتز بالله (252 – 255 هـ / 866 – 868 م)، والمهتدي بالله (255 – 256 هـ / 868 – 896 م)، وغيرهم، وأشار إلى أن "مِن آفات الملوك أن مِحَنهم في العِظَم والشدة على حسب أقدارهم في العلو والرفعة، وأن الشدائد التي تعرض لهم أدهى وأمَرُّ مما تعرض لغيرهم، صرف الله -تعالى- عن مولانا الملك السيد نوائبَ الزمان وطوارق الحدثان، ووَفَّرَ حظَّه من سُعُود المُلك والملوك، ونِعَمهم، وأعاذه من نُحُوسهم ونِقَمِهم، وجعل على نفسه واقية بطوله وحوله"[3].

ثانياً: الآداب السلطانية

لا يُفهَم من كلمة (أدب) هنا ما يعنيه الأدب في العصر الحديث، بل تقترب مما نعنيه اليوم بكلمة (ثقافة)؛ أي: سعة الاطِّلاع بمختلف ميادين المعرفة بتنوع مجالاتها، ومجال المعارف الأدبية هذا كان يُستعمَل في مقابل مجال آخر، هو العلم أو العلوم بمعناها الديني من فقه وتفسير وحديث[4].

والآداب السلطانية، أو آداب الملوك، أو نصائح الملوك: هي كتابات سياسية تزامَنَ ظهورها مع تطوُّر منصب الخلافة إلى مُلْك، بل تُعَدُّ أُولى الكتابات السياسية في الإسلام التي أفرزتها التجربة التاريخية العربية الإسلامية، وظهرت أول ما ظهرت لدى كُتَّاب الديوان الأموي[5]، وتمتد إلى عصر الفقيه الشوكاني، المتوفى سنة 1250 هـ[6]، وهي كتابات موجَّهة لخدمة ذلك الظرف الذي حلَّ بالخلافة بُعَيْد عصر الخلافة الراشدة، واستقرار الملك العضوض.

تقوم هذه النصوص السياسية على مبدأ النصيحة، وتهدف إلى الإصلاح، وتهذيب أخلاق الحاكم والمحكوم، وتقويم سلوكهما معاً، وبطانته، وجنده، والمخالِفين، والأعداء[7]، وقدَّمت لهم مجموعة من النصائح الأخلاقية والقواعد السلوكية الواجب على الحاكم اتِّبَاعُها؛ بدءاً مما يجب أن يكون عليه شخصه، إلى طُرُق التعامل مع رعيته، مروراً بكيفية اختيار خُدَّامه، واختبارهم، وسلوكه مع أعدائه[8].

انتشر هذا النوع من التأليف بشكل مثير، وربما يعود سبب انتشاره إلى ذلك التأثُّر بالحضارات المجاورة، وهي بمثابة مرجعيات كبرى؛ كالفارسية، واليونانية، والهندية، والبيزنطية، وما يحمله في تضاعيفه من الأدب والحكمة، التي هي بطبيعتها محبَّبة إلى النفوس، وقبل هذا وذاك أن خيار الطاعة والولاء ضروري يُمْلِيه الدين على العامة وغيرهم حتى ولو لم يحقِّق الحاكم ما يريدون.

وكانت لخلفيات كُتَّاب آداب الملوك الثقافية أثرها البارز في تشكيل بنية هذا النص وتوجيهه، وهم ما بين الفقيه، والأديب، والفيلسوف، والوزير، والأمير، إلا أن هذا النوع من الكتابة بطبيعته لون أدبي تذوب فيه ثقافة الكُتَّاب في أدبية واحدة؛ أدبية الحِكَم

والنصائح والوصايا، جاعلاً الكلمة وأثرها محوراً رئيساً من محاور التأثير سيراً على منوال التراث الفارسي؛ فهو لون وتأثير فارسي تسرَّب إلى الثقافة العربية[9].

ثالثاً: التعريف بالثعالبي وبعصره

من المناسب هنا، وكون البحث يتّبع المنهج التاريخي، البدء بالتعريف بالمؤلف؛ من حيث مولده، وشيوخه، وثقافته، وعقيدته، ورحلاته، وتجربته السياسية، والمناصب التي تولَّاها، والمهن التي امتهنها، والنظر في ظروف عصره حتى نتمكَّن من الوصول إلى مقاربة لفهم تلك الظاهرة، ومعرفة أسباب ذلك الاستئناس بالسوابق التاريخية في كتب الآداب السلطانية.

هو أبو منصور عبد الملك بن محمد بن إسماعيل الثعالبي النيسابوري[10]، والثعالبي نسبة إلى خياطة جلود الثعالب وعمل الفِرَاء منها[11].

وُلِد سنة 350 هـ / 961 م في نيسابور، وقد أغفل المتقدِّمون الإشارة إلى أصله، واختلف المتأخِّرون فيه، قال البعض: إنه فارسي[12]، ودليلهم على ذلك أنه وُلِد ببلاد نيسابور الفارسية، وهذا دليل واهٍ، فهو عربي الأصل، ولكونه عاش في بيئة فارسية فقد أتقن لغتها[13].

نشأ الثعالبي في أسرة تمتهن خياطة الجلود، دفعت به هذه الأسرة إلى كتاتيب نيسابور؛ ليتلقى أُولى معارفه، فلما أنهى دراسته اشتغل بالتأديب[14]، وقد مكَّنه التأديب من الاتصال بحكام عصره وأمرائه، وكانت نيسابور تحت حكم آل مكيال، وهم من مشجِّعي العلم والأدب، وقد قدَّمَه شيخه الخوارزمي[15] إلى حُكَّام هذه الأسرة، وتوطَّدَت العلاقة بينه وبين أفرادها؛ كأبي الفضل عبيد الله بن أحمد المكيالي[16] الذي كان أديباً مُحِبّاً للعلم، وقد لمع الثعالبي في عصرهم؛ ففي الجرجانية[17] مَثَلَ بين يَدَيْ أميرها أبي العباس مأمون ابن مأمون خوارزمشاه، وكان بلاطه يضم أجلَّ العلماء؛ كابن سينا والبيروني، وقد ألَّف له كتاب "آداب الملوك" الذي ندرسه الآن، وكان يُعرَف بـ "الملوكي"، كما توثَّقَت صلته بالوزير أبي عبد الله محمد بن حامد، وأهدى له كتاب "تحفة الوزراء"[18].

تردَّد الثعالبي بين المدن الخراسانية[19]، وخلال تلك الرحلات التقى كثيراً من الأمراء والعلماء، وقد استفاد من العلماء، وألَّف للأمراء، وأهدى لهم كثيراً من كتبه.

فقد رحل عن الجرجانية، واستقر في غزنة، وفي بلاط سلطانها محمود بن ناصرالدين سبكتكين الغزنوي اجتمع بعلماء ذلك العصر وأدبائه؛ كالبيروني، والفردوسي صاحب الشاهنامه، وقد ألَّف في غزنة كتابه "لطائف المعارف"، المتعدِّد المعارف؛ من أدب وسياسة واجتماع وتاريخ وجغرافيا، وقدَّمَه للسلطان محمود الغزنوي، كما قدَّم كتاب "يواقيت المواقيت"، للأمير أبي المظفر نصر بن ناصر الدين أخي السلطان محمود[20].

ومن غزنة ارتحل إلى هراة[21]، ونزل على القاضي أبي أحمد منصور بن محمد الهروي الأزدي، ثم عاد إلى نيسابور، ورجع إلى صديقه القديم أبي الفضل المكيالي الذي ألَّف له كتاب "ثمار القلوب"[22].

توفي الثعالبي سنة 429 هـ / 1038م، وقد ترك كثيراً من التراث الأدبي والسياسي، قال عنها ابن خلكان: "وتواليفه أشهر مواضع وأبهر مطالع وأكثر راوٍ لها وجامع.."، بلغت عند الصفدي حوالي اثنين وثمانين كتاباً[23].

من خلال حياة الثعالبي تبيَّن كثرة مؤلَّفاته؛ ومن ثم تنوُّع معارفه، وقد انعكس ذلك على نصه في "آداب الملوك"؛ فنجد فيه نُقولاً كثيرة عن كتاب "ثمار القلوب"، وكتاب "المبهج"، وكتاب "التمثيل والمحاضرة"، وكتاب "الطرائف واللطائف"؛ وعلى هذا، فإن كتاب "آداب الملوك" يشكِّل بنية خاصة به مع باقي مؤلَّفاته، ولا يقع ضمن بنية نصوص الآداب السلطانية التي تذوب فيها شخصية المؤلف.

لقد عاش الثعالبي في نصف القرن الرابع، وجزءاً من القرن الخامس الهجريَّيْنِ؛ فولادته كانت سنة 350 هـ / 961 م في نيسابور؛ كما رأينا؛ بمعنى أنه عاش زمن سيطرة البويهيين وتَغَوُّلهم على الخلافة العباسية، عاصر انهيار الخلافة وتلاعُب بني بويه بالخلفاء العباسيين.

وأدرك عهد المطيع لله الفضل بن جعفر الذي تولى بعد خَلْع المستكفي بالله سنة

334 هـ، كما أدرك ابنه المطيع لله الذي انتهى أمره بأن قبض عليه بهاء الدولة بن عضد الدولة البويهي سنة 381 هـ، وحبسه في داره، وأشهد عليه بالخَلْع، وظل سجيناً حتى توفي سنة 393 هـ، وقد تولى بعده الخلافة القادر بالله أحمد بن إسحاق الذي أعاد للخلافة بعض هيبتها، وطالت أيامه فتوفي سنة 422 هـ[24].

وهكذا كانت فترة سيطرة البويهيين على شؤون الخلافة في العراق كثيراً ما تنتهي بالخَلْع، وسَمْل العيون، ونهب الأموال.

وقد أدرك الثعالبي كذلك أواخر عهد الدولة السامانية وسيطرة الدولة الغزنوية؛ حيث تعرَّضَت الدولة السامانية لعدة ثورات؛ كثورة بن سيمجور[25]على نوح بن منصور الساماني (353 –387 هـ)، وبعد وفاته تولى ابنه أبو الحارث منصور سنة 387 هـ، ولكنه لم يلبث أن عُزِل، ووُلِّي أخوه الصغير عبد الملك بن نوح سنة 398 هـ[26]، وهكذا كانت الأوضاع في أواخر عهد الدولة السامانية؛ الأمر الذي فتح المجال أمام صاحب غزنة محمود الغزنوي (388 ـ 421 هـ) للاستيلاء على أملاك الدولة السامانية؛ وقد كان له ذلك؛ بحيث استولى على بخارى ونيسابور، وسجستان وجرجان وطبرستان، وأقام الخطبة للخليفة القادر بالله[27].

مهما يكن من أمر تلك الأوضاع في المشرق الإسلامي، فإن الثعالبي قد تنقَّل بين تلك المدن المشرقية، ورأى عن قُرْبٍ الأحداثَ السياسية فيها، وتأثَّر بها، وأثَّرَت في كتاباته بشكل أو بآخر، وكان صدى لها، فكانت نيسابور موطنه، وارتحل منها إلى جرجان[28]، ثم إلى غزنة[29]، وإلى خوارزم، قال في كتابه يواقيت المواقيت: "فافتتحته بنيسابور، وتطرفته بجرجان، وتنصَّفْته بالجرجانية، واستَتْمَمْتُه بغزنة"[30].

ففي نيسابور كان وثيق الصلة بآل مكيال، وخاصة أبناء الأمير أبي نصر أحمد بن علي المكيالي، وكانت صلته بهم عن طريق أستاذه أبي الفضل عبيد الله، وفي دارة أبي الفضل مكتبة ضخمة مَتَحَ منها الثعالبي، وكانت علاقته بالمكتبة تفوق علاقته بصاحبها أبي الفضل[31].

وفي بخارى رأى الثعالبي أطماع أصحاب الأطراف، وتزعزُع الحكم الساماني أيام الأمير نوح بن منصور (366 ــ 378 هـ)[32].

وفي جرجان كتب أشهر كتبه "يتيمة الدهر"، الذي اشتهر من خلاله، وفيها توثَّقَت علاقته بالأمير شمس المعالي قابوس بن وشمكير؛ حيث قدَّم له كتابه الآخر "المبهج"[33]، ثم عاد بعد ذلك محمَّلاً بعطاء الأمير شمس المعالي إلى نيسابور، وكان أميرها في ذلك التاريخ (389 هـ) هو المظفر نصر بن ناصر الدين سبكتكين في صراع مع الأمير الساماني إسماعيل بن نوح الذي انتزع بعض أطراف الدولة، وتمكَّن من هزيمته سنة 392 هـ، وهنَّأه الثعالبي بقصيدة عبَّر فيها عن بالِغ فرحه:

تبجَّلَــت الأيــام عــن غــرة الدهــر وحَلَّــت بأهــل البغـي قاصمـة الظهـر[34]

وفي خراسان عاش أزمة القحط التي حلَّت بالبلاد سنة 401 هـ، ورأى الناسَ تموت أمامه، ويعجز الأحياء عن دفنهم، ولم يحتمل ذلك، فرحل إلى أسفرائين، ونزل على زعيمها أبي العباس الفضل بن علي، ولما كان مجلسه ملتقى العلم والأدب التقى بثُلَّة من علماء ذلك العصر وأدبائه وفلاسفته، ثم عاد من أسفرائين إلى جرجان ليحل على الأمير شمس المعالي من جديد، وأكمل عنده الجزء الثاني من كتاب يتيمة الدهر[35].

وهكذا قضى الثعالبي حياته بين ارتحال واستقرار، وهكذا كان زمانه بين استقرار واضطراب، حتى كانت وفاته في نيسابور سنة 429 هـ.

رابعاً: كتاب آداب الملوك

هذا الكتاب هو خلاصة تجارب الثعالبي، صنَّفه بعد أن تجاوَز الخمسين من عمره حينما كان في خوارزم شاه في عز شبابه، وهو من أهم كتب الثعالبي السياسية.

وفي سبيل الوصول إلى أطروحة نص الثعالبي وعناصر هذه الأطروحة، ومعرفة إشكالية هذا النص، لجأتُ إلى جمع الكلمات المفتاحية الدالَّة داخل النص، ثم تجميع الفئات الدلالية، وبعد جَمْعها وتصنيفها بحسب دلالاتها المشتركة أخذتُ في البحث

عن التعارُضات والتقابُلات داخل هذه الفئات، وخلصتُ إلى كلمتين مفتاحيتين؛ هما (الخاصة والعامة)، يدور حولهما النص في مجمله، وهما كلمتان تمثِّلان ثنائيات داخل النص يندرج تحتها كل الكلمات الدالَّة؛ كالراعي والرعية، كالطاعة والعصيان، كالرغبة والرهبة، كالشدة واللين، كالثواب والعقاب، وغيرها من الكلمات التي توجِّه النص بأكمله، وتمكَّنت بذلك من مقاربة تحديد أطروحة النص وعناصر الأطروحة، وإشكالية النص على النحو الآتي:

أطروحة نص الثعالبي

يدافع الثعالبي في أطروحته العقلية وبأسلوبه الأدبي عن السياسة كآلة وأداة للسلطان، بها نظام الملك ومداره، خاصة بعد تطوُّر منصب الخلافة إلى مُلْك في العصرين الأموي والعباسي؛ بحيث ترى هذه الأطروحة أن السياسة عقل، وأن ما يميِّز الملوك ويرقى بهم عن نظائرهم من العامة هو ذلك النشاط العقلي، والحكمة البالغة، والاستعداد الذهني لاستقبال النصائح والحِكَم الأخلاقية الموجَّهة إليهم؛ الأمر الذي يمكِّنهم من الحفاظ على المملكة وإسعاد الرعية.

عناصر الأطروحة

- بيان أنواع السياسات الملوكية بحسب فئات المجتمع (الخاصة والعامة)، وضرورة التمييز بين اهتمامات الخاصة وحاجيات العامة.
- من خلال مبدأ النصيحة كان التركيز على مجموعة من النصائح الأخلاقية والقواعد السلوكية التي يجب على المَلِك اتِّباعها، بدأ بالعمل بالمقولة الفلسفية "اعرف نفسك" وأخلاطها الأربعة: الناطقة، والغضبية، والشهوانية، وما يجب أن يكون عليه الملك في شخصه وأهل بيته إلى طرق سياسة الخاصة، مروراً بكيفية سياسة العامة.
- تأكيد خيارَيِ الطاعة والعدل، كقيم سياسية، فإنه إذا رَغِب الملك عن العدل رغبت الرعية عن الطاعة.

إشكالية نص الثعالبي

تُعَدُّ السياسة الملوكية بين الخاصة والعامة إشكاليةَ النص الرئيسة، والخاصة والعامة من الثوابت البنيوية في نص الثعالبي، تُضاف إليه ثوابت أخرى ثانوية في النص؛ كالطابع العملي الإجرائي.

منهج الثعالبي في كتابه

بدأ الثعالبي كل باب في كتابه بِذِكْر نماذج وسوابق تاريخية من تراث الحضارات السابقة، ونقل منهم تقاليدهم الملكية، ثم يتبع ذلك بذِكْر نماذج من تقاليد العرب القدماء، ثم عصر النبوة، والخلفاء الراشدين، والدولة الأموية، والعباسية، وفي عصر الدولة العباسية كانت دولُ الأطراف في الشرق مساحَتَه في الاستشهاد بالتاريخ، خاصة الدولة السامانية.

موقفه من الإسناد والروايات

من سمات منهجه الابتعاد عن الإسناد، وقد أورد روايات مبالَغاً فيها تسقط من الوهلة الأولى عند تطبيق نظرية الاستحالة الخلدونية[36] عليها، وتمريرها على العقل، ومن ذلك ما ذكره من نماذج في فصل آفات الملوك عن شَرَه الملوك؛ كسليمان بن عبد الملك الذي يأكل ثلاثين دجاجة، وغير ذلك من المبالَغات، مستعمِلاً في أكثرها صِيَغ التمريض التي تشكِّك القارئ في صحتها، كقوله: "يُحكى"[37]، و"يُروَى"[38]، و"يقال"[39].

ويلاحظ في منهج الثعالبي الانتقائية الشديدة، ومحاولة توظيف النصوص؛ فتجده يلوي أعناق الأخبار حتى تدعم فكرته، سواء أصحَّ الخبرُ أم لم يصح، ولسان حاله المهم الفكرة الرئيسة وخدمة النص، والأديب السلطاني بشكل عام لا يهمه القائل، بل يهمه القول، فكل القائلين يتشابهون، أما تأكيدهم للفكرة نفسها التي أثبتها المؤلف في صلب عنوان الفصل المدرَج فيه كل هذه الاستشهادات والسوابق التاريخية، ولا يهمه السند والتوثيق بقدر ما تهمه العبرة السياسية[40]؛ لأن عمله - كما ذكرت من قبل - ليس كعمل

المؤرِّخ، تحقيق الواقعة وتأكيد صحتها وضبطها.

ومن ذلك ما جاء في باب إخفاء الملك مَنامه[41]؛ حيث قام بالربط بين إخفاء الملوك منامهم وإخفاء النبي ﷺ لمنامه يوم هجرته، وهو استشهاد وربط في غير محلِّه؛ لأن إخفاء النبي ﷺ لمنامه كان مرةً واحدة وليس في كل أحواله.

كما أنه أورد قصة دخول أبي مسلم الخراساني على السفَّاح وبحضرته أبو جعفر، ولم يسلِّم عليه، على أنها من رسوم الدخول على الملوك[42]، بينما الصواب أنه لم يسلِّم على أبي جعفر بسبب وحشة بين الاثنين وليس الأمر رسوماً وآيين.

مصادره

وأما المصادر التي استقى منها معلوماته؛ فقد استفاد من المصادر الشرعية؛ كالقرآن والسنة، وأقوال الصحابة، والتاريخ الإسلامي؛ فقد قدَّم نماذج كثيرة من التاريخ الأموي والعباسي، وجعلها بين يدي الأمير مأمون بن مأمون الساماني.

كما نقل من الحضارات الأخرى، خاصة الفرس، والروم، والهند، وأكثرَ النقلَ من عهد أردشير[43]، ونقل من ملوك الفرس الآخرين، كأبرويز، وابنه شيرويه، وسابور ذي الأكتاف، ويزدجرد، وأنوشروان، وبزرجمهر[44].

واستفاد من التراث الإسلامي ذي النَّفَس الفارسي في الآداب الملوكية، ونقل الكثير من كتاب "الآيين" المفقود لابن المقفع، ونقل من كليلة ودمنة، واليتيمة[45]، وأحياناً يشير إلى اسم الكتاب، وأحياناً يُغْفِل ذِكْرَه، كما نقل من أبي زيد البلخي[46]، في كتاب "السياسة" المفقود، كما نقل من أبي إسحاق الصابئ المعاصر له كثيراً من النصوص[47]، ونقل من الأمير شمس المعالي قابوس بن وشمكير[48].

قيمة كتابه التاريخية

نظراً لهوس الثعالبي بالتاريخ فقد أكسبه ذلك الهوس قيمة تاريخية، تكمن في أنه حفظ لنا أجزاء مفقودة من كتاب الوزراء والكُتَّاب في أخبار المأمون[49]، قال: "قرأت في

"أخبار الوزراء" لابن عبدوس أن المأمون خاطَبَ يوماً بعض حاشيته في شيء، فاحتجُّوا فيه، وزادوا في الصوت، فلما خرجوا أمر بهم الفضل بن سهل فقُوِّمُوا بالضرب، فسأله المأمون عن ذنبهم، فقال: إنهم لم يتأدَّبوا بأدب الله تعالى، فإنه يقول:

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَرۡفَعُوٓاْ أَصۡوَٰتَكُمۡ فَوۡقَ صَوۡتِ ٱلنَّبِيِّ وَلَا تَجۡهَرُواْ لَهُۥ بِٱلۡقَوۡلِ كَجَهۡرِ بَعۡضِكُمۡ لِبَعۡضٍ أَن تَحۡبَطَ أَعۡمَٰلُكُمۡ وَأَنتُمۡ لَا تَشۡعُرُونَ ٢ ﴾، [سورة الحجرات، آية: 2][50].

كما حفظ لنا جزءاً من أخبار المعتصم والواثق في الكتاب نفسه، قال: "وفي كتاب (الوزراء) لابن عبدوس أن محمد بن عبد الملك وزير المعتصم والواثق قرأ يوماً على الواثق ليشهد فيه على نفسه، فلما بلغ الموضع الذي فيه: في صحته من عقله وبدنه وجواز أمره..."[51].

وحفظ لنا نصوصاً من كتاب "الآيين" لابن المقفع، وكتاب السياسة لأبي زيد البلخي، وكلاهما مفقود، وحفظ لنا كذلك نصوصاً من كتاب "أخلاق الملوك" للوزير الصاحب بن عباد.

كما تعود قيمة الكتاب إلى أنه حَفِظ لنا جملة من الوصايا السياسية لملوك الفرس، والخلفاء الراشدين، والأمويين، والعباسيين.

وتكمن أهمية الكتاب في كونه مصدراً لا غنى عنه للباحثين في التاريخ والأدب في وصايا الملوك، ومعاهداتهم، ولطائف توقيعاتهم .

وفي فصل آفات الملوك قدَّم لنا مادة دسمة عما آل إليه خلفاء بني العباس من مِحَن على يد الأتراك، ومن بعدهم بنو بُوَيْه من خَلْع، وقَتْل، وإقصاء، وتعذيب، وسَمْل أَعْيُن.

والكتاب يؤرِّخ أيضاً للحركات الدينية[52]، وقد حفظ لنا هذا الكتاب انتشار المذاهب الفاسدة، والفِرَق الهدَّامة الملحِدة؛ كالباطنية، والقرامطة، والإسماعيلية في خراسان، ودور السلطان المعظَّم يمين الدولة وأمين المِلَّة أبي القاسم محمود بن ناصر الدين بن سبكتكين (421 هـ) في قَمْعها، وإقامة شعار الإسلام، وحصد نواجم الإلحاد من أصولها.

كما أنه، فضلاً عن عنايته بالسياسة ونصائح الملوك، اعتنى بالنُّظُم الإدارية؛ أي أن

الكتاب صاحب وظيفة إدارية، وركَّز على الحجابة، والوزارة، والكتابة، والقضاء، وتناوَل التراث العسكري والحربي، كما يمكن ملاحظة اهتمامه بالتاريخ الاجتماعي، وعنايته بالتراث العمراني.

خامساً: أسباب الظاهرة ودلالاتها

الظاهرة كما أسلفت ترتبط بالأسباب والمسبِّبات والنتائج، وملاحظة تكرارها، لذلك يمكن إرجاعُ ظاهرة الاستئناس بالسوابق التاريخية في كتاب "آداب الملوك" إلى:

(1) أسباب خاصة بالمؤلف

لعل من الأسباب التي دفعت الثعالبي للرجوع إلى التاريخ أنه كان، كأحد النخب المثقفة من الكتّاب في زمانه، ممن أراد أن يقدّم نفسه ضمنهم في البلاط السلطاني كجهة حريصة على مسيرة الدولة، يقع عليها الاطلاع على أحوال الدولة وتضع يدها على الخلل في أجهزتها وتقدّم جملاً من النصائح السياسية والإدارية كنوع من محاولة الإصلاح[53].

ولأجل ذلك ألّف الثعالبي كتابه آداب الملوك وأهداه للأمير مأمون بن مأمون خوارزم شاه، أراد من خلاله أن يرسم للأمير طريقاً في السياسة الملوكية ورسوم دار الخلافة، قال في مقدمته: "وأسعدنا بالوصول إلى رواق المجد، ومستقر الملك من حضرته، وأسبغ علينا النعمة في الاعتصام بعروة العز من خدمته"[54]، وكل ذلك يدل على رغبة الثعالبي بالحظوة منه، أراد من خلاله تذكير الأمير بما يجب عليه تجاه رعيته وما يصلحه ويصلح رعيته[55].

وحتى تتم الفائدة من الكتاب ويؤتي ثماره المرجوّة، عليه بالرجوع إلى التاريخ ويحشد كل ما لديه من عدّة معرفية ولغوية وفلسفية.

كما أن من الأسباب التي دفعت الثعالبي للرجوع إلى التاريخ والاستئناس بالسوابق التاريخية تخصُّصه؛ لأن الكاتب ابن تخصُّصه ، إذا جاز التعبير، فكونُه أديباً قد لا يملك أدوات الفقيه، ولا يستطيع الاستفادة – بشكل أكبر– من الشواهد القرآنية والسنة النبوية؛

كما هو الحال عند الفقيه المُلِمِّ بعلوم القرآن والسنة من أسباب نزول، والناسخ والمنسوخ، وغيرها من الأدوات؛ فلا طريق له يتحرك فيه سوى التاريخ، فكان رجوعه إلى التاريخ أكثر من غيره.

لذلك لم يهتم بالجانب النظري الفقهي بقدر ما اهتمَّ بإعادة إنتاج وترتيب العبرة السياسية المستخلَصة من كتب التاريخ وسير الملوك.

ومن هنا نجد أن الثعالبي حينما طلب منه الأمير مأمون بن مأمون تأليف كتاب "آداب الملوك"، أو الملوكي، أخذ يبحث في بطون الكتب عن كل ما من شأنه خدمة كتابه هذا ليضع أمامه السوابق التاريخية والحِكَم والأمثال من التاريخ الإسلامي، والتاريخ العالمي بشكل عام.

وتُعَدُّ مهنة التأديب من الثغرات التي يمكن التسلُّل من خلالها إلى النص للكشف عن أسباب هذه الظاهرة، وقد كانت هذه المهنة رائجة في نيسابور؛ حيث العلم والفكر؛ إذ يمكن إرجاع أسباب رَصْف الثعالبي للأحداث والقصص التاريخية إلى هذه المهنة التي أثَّرت في أسلوبه في التأليف؛ لأن أسلوب القصص محبَّب إلى النفوس كباراً وصغاراً، وهي، وإن كانت قصص جاء بها لخدمة فكرة النص، فإن بعضها يسقط عند أول محاولة لإعمال مِشْرَط النقد.

ومن ذلك الكثير، ولكن على سبيل التمثيل في فصل "في تخليط الملوك"، أورد الثعالبي في آفات الملوك قصصاً كثيرة، مما يُصنع ويُهدَى في موائد الملوك من بدائع الطيبات وظرائف المأكولات؛ كقصة سليمان بن عبد الملك بن مروان، ووَصْفه "آكَلُ من النار، وأشْرَبُ من الرمل، وأسْفَدُ من العصفور، فأكل يوماً ثلاثين دجاجة مشوية، ومائة بيضة مسلوقة، وشرب أرطالاً من النبيذ، وتمتع بأربعٍ من العذارى، فأخذته الكِظَّة، وضعفت منه الـمُنَّة، فطرقته المنيَّة".

وفي الفصل نفسه نقل قصَّة عن الصولي عن محمد بن يحيى بن أبي عباد قال: "سمعت أبي يقول ويحلف: إن المتوكل لو لم يُقتَل لما عاش؛ وذلك أنه قد كان خفَّ دماغه، ويبس بدنه من كثرة الباه، فكان في أذنه أوقية من دهن البنفسج، فلا يتبين فيها،

ويناله سهر كثير، وكان يقول: قد أتعب الجِمَاع أعضاي، وأحتاج إلى أن أبلغ المراد ولا أتعب، فوصف له الزيبق، فجُعِل في الزقاق، ومُلِئت منه بِركة وفُرِش له فوقها، وكان يبلغ ما يريد ولا يتحرك؛ إذ كانت حركة الزيبق تكفيه".

واستأنس كذلك بقصص أخرى في تخليط الملوك كعلَّة المكتفي، وغيرها مما يؤكِّد تأثير مهنة التأديب في أسلوب الثعالبي؛ مما جعله كثير الاستئناس وكثير الرجوع إلى السوابق التاريخية.

كما أن تخصُّص الثعالبي الأدبي، ونشأته الأدبية قد انعكست على ممارسته الكتابية؛ فهو وغيره من الأدباء ممن كتب في الآداب السلطانية يمثِّلون اتجاهاً موازياً لاتجاه الفقهاء، ويشكِّلون خطاباً منافساً لخطابهم، وفي التاريخ كمرجع كان موقفهم يتَّسم بالبرود، كما وصفها نبيل فايزو؛ بحيث لم يُصدِروا – في الغالب– أي أحكام أخلاقية على تلك الحوادث، كحادثة نكبة البرامكة التي فُسِّرَت تفسيراً سياسيّاً؛ فالثعالبي كان برغماتيّاً في تناوُل الحوادث التاريخية؛ حيث مكَّنَه ذلك من تسخير أحداث التاريخ لخدمة تصوُّره الضمني للسياسة والدولة[56].

ففي سياق دفاعه عن مشروعية مؤسسة الوزارة تحدَّث عن حضورها بالفعل في التجربة السياسية النبوية ممثَّلةً في علاقة النبي ﷺ بكل من أبي بكر وعمر، رضي الله عنهما، ولم يكتفِ بشرح ما ذكره القرآن الكريم عن الوزارة ومعناها؛ الأمر الذي مكَّنَه من التشريع لتلك المؤسسة من داخل التاريخ الإسلامي نفسه[57].

قال: "وإن كان السلف لم يُطلِقوا لفظ وزارة أبي بكر وعمر– رضي الله عنهما – للنبي محمد – عليه السلام – كلَّ الإطلاق، رفعاً له وتنزيهاً إياه عن الملك الذي تقترن به الوزارة، فقد كانَا في الحقيقة وزِيرَيْه، يشهد بها الآثار والأخبار، ويشهد لهما بالوزارة زيد ابن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب، عليهم السلام..."[58].

كما أنه في فصل الوزارة لم يخرج عن سياقه التاريخي؛ فقد استأنس بحوادث عاصرها، ومن ذلك "أنه لما توفِّي الصالح أبو القاسم سدَّ فخر الدولة مكانه من الوزارة بأبي العباس أحمد بن إبراهيم الضبي، وأبي علي الحسن بن أحمد، وجعلهما شريكَيْن

في وزارته، فظهر العوار، واستمر العثار، وكان يُخاطَب أبو العباس بالأستاذ الرئيس، وأبو علي بالأستاذ الجليل..."[59].

ويبدو من خلال تتبُّع حياة الثعالبي أن تنوُّع التجارب السياسية التي مرَّ بها وعاصَرَها كانت تقف خلف الكثير من أفكاره، وكانت دافعاً من دوافع رجوعه إلى التاريخ، ولعل ما سمعه من أبي محمد عبد الله بن إسماعيل المكيالي من حِكَم وأمثال وآداب ملوكية في الطاعة والحقوق المتبادَلة بين الراعي والرعية[60] ما هي إلا دليل عملي على أن استشهاد الثعالبي بالسوابق التاريخية يأتي من قَبِيل أسباب خاصة به وبمحيطه السياسي الذي نشأ فيه، تلقَّاه وأعاد إنتاجه وفق إرادته.

كما أنه من الأسباب الخاصة بالمؤلف الثعالبي، التي دفعته للاستشهاد بالسوابق التاريخية، والتي بلا شك تعود إلى ظروف عصره – لكن بما يكشف عن مراده – ما نقله من أخبار أحمد بن إسماعيل الساماني في سَفْك الدماء، ليضعها أمام الأمير مأمون بن مأمون، وهي أخبار في ذَمِّ العقاب والأخذ بالظنَّة، قال: "ومنهم مَن لا يعرف من العقاب إلا ضرب الرقاب؛ لما في طبعه من محبة سفك الدماء، وقَلَّ مَن كان كذلك إلا كان القتلُ عاقبةَ أمْرِه؛ كأحمد بن إسماعيل الساماني، ومرداويج بن زيار الجيلي، وغيرهما من جِلَّة الملوك"[61].

وفي سياق دفاع الثعالبي عن أطروحته العقلية التي ترى أن السياسة آلةُ الملك، وعليها مداره، والتي يدور كتابه عليها؛ أراد أن ينقل للأمير مأمون بن مأمون الدور الذي يضطلع به معاشرُ الكُتَّاب في رسم السياسة العامة للدولة، وبيان مدى تأثيرهم في الحياة السياسية، والإدارية، والاقتصادية، وبيَّن لنا مدى حرص الأمراء السامانيين على الإفادة من تلك الكتابات، وذلك حينما سأل الأمير الساماني منصور بن نوح الوزير أبا جعفر أحمد بن الحسين العتبي عن ملاكِ أمْر الملك، فطلب الوزير أن يُمْهِله ليفكِّر، فأمهله، ثم جمع مشايخ الباب وعقلاء الحضرة، فما زالوا يتحاورون فيه حتى اجتمعت آراؤهم على أن عمدة السياسة وملاك الملك ورونق السلطان أن تشتد الهيبة، وتكثر المحبة، وترتاش الرعية، ويستظهر الجيش، وتظهر المروءة، وينقمع المتغلِّبون وتُؤْمَن الطرق...، وكتب

بذلك للأمير في قرطاس، وعرضه على الأمير فارتضاه، وأُعجب به، ودفعه إلى أخصِّ غلمانه الواقفين على رأسه، وأمره بأن لا يُخلي كيس منطقته منه، فكان يدعو به في الوقت بعد الوقت، ويردِّد نظره فيه، ويبني أمره، ثم يردُّه إليه[62].

(2) أسباب تاريخية نابعة من البيئة

ويبدو أثر بيئة الثعالبي عليه في توجيه مادة الكتاب وجهة تاريخية؛ ذلك أنه قد ألّف كتاب آداب الملوك في فترة توتر العلاقة بين الأمير مأمون والسلطان محمود الغزنوي(388 ـ 421 هـ)، وذلك حينما رغب السلطان محمود في أن تكون بينه وبين الخانيين صداقة وعهد، وذلك بعد الحرب التي كانت بينهم، فأرسل السلطان قادته لهذا الأمر وأحب أن يذهب رسول من قبل أبي العباس مأمون مع رسله حتى يكون على بيّنة واتصال بما يجري من عقد وميثاق مع الخانيين، إلا أن أبا العباس لم يأتمر بما أمره[63]، ولذلك كانت الوحشة بينهما وتوترت العلاقة بين الطرفين، فوجد الثعالبي أن من واجبه كمثقف أن يقدّم له نماذج من التاريخ تناسب حاله وحال علاقاته مع جيرانه وخاصة مع السلطان محمود الغزنوي.

وعلاقة الأمير مأمون بالسلطان الغزنوي قديمة ومتينة منذ أن وصل الأمير أبو العباس مأمون إلى حكم مملكة خوارزم بعد وفاة أخيه أبي الحسن، وحاول خلالها أن تبقى هذه العلاقة ودّيّة على عكس أخيه السابق بسبب سطوة السلطان الغزنوي واجتياحه لإقليم خراسان وإنهاء السيادة السامانية سنة 389 هـ[64]. وقد تطورت تلك العلاقة إلى حد أن طلب الأمير مأمون من السلطان محمود الغزنوي أن يعقد له على أرملة أخيه الحرة بنت سبكتكين أخت السلطان محمود الغزنوي[65].

ولذلك نجد في كتاب الثعالبي فصلاً في المصاهرة، وحتى يؤكّد جدوى المصاهرة السياسية استأنس بسوابق تاريخية لخلفاء بني العباس؛ كزواج المأمون من بوران ابنة وزيره الحسن بن سهل، ومصاهرة المعتضد بالله لخمارويه بن أحمد بن طولون، ومصاهرة الطائع لله لعضد الدولة، ومصاهرة الأمير الرضي أبي القاسم نوح بن منصور صاحب جيشه أبا الحسن محمد بن إبراهيم بن سيمجور[66].

كما أن الثعالبي استجابة لأوضاع خوارزم في عهد الأمير مأمون، وما تواجهه هذه المملكة من تهديدات من السلطان محمود الغزنوي، وتفاعلاً مع أحداث عصره، أراد أن يأتي له من التاريخ بصور في ملاينة العدو؛ ففي فصل "في الأعداء وما يوجبه الوقت والحال من ملاينتهم ومخاشنتهم ومقارعتهم وموادعتهم"، أورد له من التاريخ ما يدعم تلك الفكرة[67]، قال:"ومن أحسن ما قرأت وسمعت في شأن العدو قول أبي الحسن محمد بن إبراهيم بن سيمجور في كتاب عمله بالفارسية في آداب الملوك ينبغي للملك أن يبني أمره مع عدوه على أربعة أوجه: اللين والبذل والمكاشفة والكيد"[68].

وكان أبو العباس مأمون يراعي جانب السلطان محمود في كل شيء، ويبدي له التواضع مالا يبديه لأحد غيره، وأنه كثيراً ما يذكر اسمه في مجالسه بإجلال واحترام، إلى حد أنه حينما وصلته خلعة مع العهد واللواء من الخليفة القادر بالله (388 – 422هـ) ولقبه بـــ(عين الدولة وزين الملّة) خشي من غضب السلطان محمود لكونه قد حصل على هذه الخلعة والإجلال والإكرام من الخليفة من غير وساطة السلطان وشفاعته؛ لذلك أرسل سراً ليتسلم هذه الخلعة من غير علم السلطان محمود، وأمر بكتمان خبرها، فلم يعلم أمرها طول فترة العلاقة الودّيّة بينهما[69].

ومن أسباب هذه الظاهرة، ظاهرة الاستئناس بالسوابق التاريخية أيضاً، نجد أن احتياجات الدولة الإسلامية في العصر العباسي لبناء منظومتها الإدارية، وحاجتها كذلك إلى قوانين مالية وإدارية تنظم الحياة السياسية والاقتصادية، وحاجتها للمشورة، دفعت بها إلى الاستعانة بالكتّاب، وقد أشار الثعالبي في آداب الملوك إلى حاجة الدولة إلى الكتّاب وإلى دورهم في خدمة الملك؛ حيث، وصف "أقلامهم بأنها أوضح من أسياف الجند، وأنهم ينظمون عقود دولته ويعملون على تثبيت أركان ملكه..." [70].

قال في أهميتها للملك والمملكة: "ومعلوم أن الكتاب ساسة الملك، وعماد المملكة، ألسنة الملوك، وجهابذة الألفاظ، وبأقلامهم تدبّر الأقاليم"[71].

ولما كانت وظيفة الكاتب من الوظائف المهمة التي يتسابق الناس إلى الوصول إليها لينالوا الشهرة والجاه والرخاء، ولا يمكن لأحد أن يلتحق بها إلا بعد أن يكون واسع

الثقافة، متجدد المعرفة، كثير الانفتاح على الثقافات، كان عليهم أن يأخذوا أنفسهم بثقافة واسعة[72]، وأن يلموا بحكم العرب فضلاً عن حكم الفرس وتاريخهم[73].

ثم لما كانت الثقافة الواسعة شرط الكتابة، والإلمام بتواريخ الأمم شرط الثقافة، وقع على الثعالبي مسؤولية الاهتمام بالتاريخ والرجوع إليه والاستئناس بحوادثه حتى يضع كغيره من الكتّاب بين يدي أمير خوارزم مأمون بن مأمون (خوارزم شاه) حلولاً عملية لمشكلات جابهت أمثاله في دول وأمم عبر تاريخها، لعله يعتبر ويفيد من نتائجها؛ مما يساعده على النهوض بمسؤوليات الحكم[74].

وقد تنوعت طرق الثعالبي في الاستفادة من التاريخ والسوابق التاريخية؛ إذ استأنس بالتاريخ الإسلامي والتاريخ العالمي، ومع أن كتاب الثعالبي يقوم ضمن سياق نصائح الملوك فإنه تقريباً في إطار إشكالية نصه عن السياسة بين الخاصة والعامة قد أتى على أغلب مباحث السياسة ونظم الحكم، كصفات الحاكم، وفي اختيار الوزراء والقضاة والقادة، وفي السياسة المالية وفي الحيل والسياسة الحربية، والمكائد، والمنادمة وصحبة الخليفة ومداراته، وآداب الحديث بحضرته، وآداب مسايرته، ورسوم خدمة الكُتّاب وأخلاقهم، وسياسة الرعية والإنفاق عليها والسهر على حمايتها، وفي سياستها بالترغيب والترهيب، والحزم، وفي الرأي والمشورة، وفي كتمان السر، وفي كل ميدان من ميادين التأليف، نصائح الملوك، والآداب السلطانية، ورسوم دار الخلافة.

ووظيفة الكتّاب رفيعة، والثعالبي يرى أن الكتّاب يقومون بدور عظيم في شؤون الدولة، ذكر منهم: كاتب الخراج، وكاتب الجيش، وكاتب النفقات، وكاتب بيت المال، وكاتب الرسائل، وكاتب الشرطة، وكاتب المظالم، يقول في ذلك: "يكتبون في جلائل الأمور، ومعاظم الشؤون؛ كالفتوح وسد الثغور، وتسريب الجيوش، وجباية الخراج، وعمارة البلاد وإصلاح الفساد والتحريض على الجهاد على الأعداء والإبراق في مخاطباتهم والإرعاد وإصلاح ذات البين والجنوح إلى السلم والتآلف للنافر وتقريع الناكثين وغيرهم من سائر الفنون فيحسبون التصرف ويستوفون العبارة ويصيبون شواكل المراد..." [75].

ولذلك نقل للأمير مأمون، وصية المهلب لابنه يزيد، قال: ومما يستحسن للمهلب قوله ليزيد ابنه: يا بنيّ استعقل الحاجب، واستظرف الكاتب، فإن حاجب الرجل وجهه وكاتبه لسانه"[76].

ومن ذلك أنه في أهمية العدل بمعناه السياسي الأنثروبولوجي نقل عن ملوك الفرس، ونقل كذلك وصية شيرويه حينما ملك بعد أبيه أبرويز، ومن ذلك "احفظوا لي ثمرة الملك أحفظ لكم ثمرة العدل، وأف لكم بالقول والفعل. ففكروا فيما قال، فإذا هو قد جمع في كلمة واحدة كل ما يريدون"[77]. ونقل وصية لأردشير في الحثّ على العدل، الذي يرى أنه "إذا رغب الملك عن العدل، رغبت الرعية عن الطاعة"، وكان يقول: "لا صلاح للخاصة مع فساد العامة، ولا نظام للدهماء مع دولة الغوغاء"[78].

وفي وصف المجالس السلطانية استأنس الثعالبي بالكثير من السوابق التاريخية لملوك فارس الساسانيين، والدولة السامانية؛ فقد نقل الثعالبي وصفاً لمجالس يزدجرد، قال: "ويقال أن يزدجرد رأى ابنه بهرام بمواضع من مجلسه لم يكن له، فقال: مررت بالحاجب؟ قال: نعم، قال: وعلم بدخولك؟ قال: نعم، قال: فاخرج إليه واضربه ثلاثين سوطاً ونحّه عن الستر وقلّد الحجابة آزامرد، ففعل ذلك بهرام وهو إذ ذاك مراهق، فلما جاء بهرام بعد ذلك يزدجرد فدعا آزامرد وجزاه الخير على فعله وأمر له بصلة"[79].

وفي وصف موائد الملوك السامانيين ذكر "أن الرسم على موائد الملوك السامانية كان إذا قدّم الأرز باللبن أن يتناول كل واحد ممن عليها ملعقة ذهب، فجمعت يوماً مائدة الأمير السعيد نفراً من ملوك الأطراف، فلما قدّم الرز باللبن أعطوا معالق الذهب على الرسم"[80].

وفي باب آفات الملوك، أفرد فصلاً في ذكر الحرب حاول الثعالبي أن يضع تحت هذا الفصل نماذج من التاريخ ليعرض للأمير تجارب لأبرز القادة والولاة في التاريخ الإسلامي، وهو الحجاج؛ إذ نقل له وصيته لقتيبة بن مسلم الباهلي، قال: "إذا وجهت عيونك إلى العدو وفاجأك أحدهم بما يسرك فأعطه وأحسن إليه، وإذا جاءك بما يسوؤك فأضعف له الصلة، لئلا يكتمك كائناً ما كان"[81].

كما أن البيئة التي استنبت فيها كتاب "آداب الملوك" هي بيئة ترتكز على تفرُّد الحاكم بالسلطة، ولا تسمح بنمو أي قوة سياسية تعارضها، تُعرف في الأدبيات السياسية والتاريخية -وبالذات عند الماركسيين- بنمط الإنتاج الآسيوي[82]، والعالم الشرقي عند هيجل عالم مستبِدٌّ، يقول هيجل في معرض كلامه عن نظرية الاستبداد الشرقي: "إنه لا يعرف ولا يزال لا يعرف حتى اليوم سوى شخص واحد هو الحر"؛ أي شخص الحاكم[83].

ولأن الثعالبي هو نتاج زمان معين معبِّراً عن ذلك الوضع التاريخي، وكان المثال المحتذَى به هو المثال الشرقي بنماذجه الهندية والفارسية التي عُرِفَت بالاستبداد ونَظَّرَت له، فوجد الثعالبي في تلك النماذج ما يلائم العقلية الإسلامية في هذه المرحلة التي تحوَّلوا فيها إلى ملوك بعد أن كانوا خلفاء أهل شورى وبيعة.

ووفق المنهج التاريخي في دراسة النصوص؛ ولأن وصل النص السياسي بتاريخيته تقليدٌ عند بعض محلِّلي النصوص السياسية، ويظهر جليّاً في قراءاتهم، كرضوان السيد الذي يشكِّل عنده ربط النص بالتاريخ هاجِساً في كل مقدمات تحقيقه للكتب السياسية؛ كالجوهر النفيس، والأسد والغوَّاص، والإشارة إلى أدب الإمارة[84]، ولذلك يمكن الاستفادة من تلك القراءات التي استعملت هذا المنهج في الوصول إلى أسباب استئناس الثعالبي بالسوابق التاريخية في كتابه "آداب الملوك".

ولما رأى الثعالبي استقرار الملك، وزمانُه زمانُ ملك، ألَّف الكتاب لأحد ملوك الأطراف في ذلك الزمان، خصَّص فصلاً في الإفصاح عن عُلُوِّ شأن الملوك وشدة الحاجات إليهم، وما يلزم الناس من طاعتهم وإعظامهم وإجلالهم، وأخذ يَسُوق الآيات الكريمة مما نطق به القرآن الكريم، والأحاديث الشريفة، ثم أخذ يستأنس بالكثير من السوابق التاريخية والحِكَم والأمثال، ومن أبرزها ما ذكره بهذا الصدد من انتشار المذاهب الفاسدة، والفِرَق الهدَّامة الملحدة؛ كالباطنية، والقرامطة، والإسماعيلية في المشرق في خراسان، وقد أدرك بعضَهم ممن أسماهم بكفرة الفلاسفة، وفَسَقَة أهل الأهواء والبِدَع، وشياطين الإنس؛ كالمقنَّعية[85]، والراوندية[86].

هنا يدرك القارئ الأثر التاريخي والبيئة التي نشأ فيها على الثعالبي؛ الأمر الذي دفع

به للاستئناس بموقفها، وبممارساتها مع الملوك منذ نشأتها، وإن كانت هذه الفِرَق -كما يبدو من وصفه لها بالكفرة والفَسَقة- لا تُعَدُّ مثالاً يُحتذَى به في طاعة الملوك، لكنه رجع إلى تاريخها لبيان المدى الذي كان قد وصل إليه علوُّ شأن الملوك، والمدى الذي بلغه تعظيم الناس لهم حتى اتخذوهم آلهة.

كما أنه في تعظيم الملوك رجع إلى تراث الفُرْس، وأشار إلى أن الناس في زمان الأكاسرة يدعونهم الأرباب، ويُقِرُّون على أنفسهم بالعبودية، ولا يتجاسَرُون على أن يلبسوا ما يلبسه الملك من الثياب، أو يركبوا ما يركبه من الدواب[87].

وفي إطار الأسباب التاريخية المتعلِّقة ببيئة الثعالبي في تفسير ظاهرة الاستئناس بالسوابق التاريخية يمكن القول: إن الثعالبي لاحَظَ الدور المثالي الحالم الذي يضطلع به الفقهاء في الحقل السياسي الذي يَنِدُّ بعض الشيء عن فهم الواقع، رافضين الخضوع له، متطلِّعين إلى "ما يجب أن يكون"[88]، وبذلك حاول الثعالبي وغيره من كُتَّاب الآداب السلطانية من الأدباء تقديم فَهْم معقول للشأن السياسي انطلاقاً من الاعتراف بدور الطبيعة البشرية في تحديد ماهية الفعل السياسي.

ولإيمانه العميق بنظرية التشابه في التاريخ، وهي النظرية التي ترتَّبَ عليها إمكانية الاستعانة بالتاريخ على فَهْم التاريخ، والتي آمَن بها كُتَّاب الآداب السلطانية، ونظَّرَ لها ابن خلدون فيما بعد بقوله: "فالماضي أشبه بالآتي من الماء بالماء"[89].

أقول: لإيمان الثعالبي بذلك التشابه استدعى الحوادث التاريخية، وساكَنَ بين تجارب الأمم -كالفرس والروم واليونان- مع التجربة الإسلامية، واعتبر ذلك سبيلاً لفهم الفعل السياسي، وليست نظرة الفقهاء المتعالية غير الواقعية تفسير التاريخ بالتاريخ.

ولهذا لم يكتفِ الثعالبي بالاستشهاد بالتاريخ الإسلامي، بل تجاوزه إلى الحضارات الأخرى المجاوِرة للإفادة من تجاربهم في السياسة، باعتبار التاريخ مخزناً لتجارب الأمم، وسجلّاً للماضي، وزاد من مساحة النقل عن تلك الحضارات، لتشمل التاريخ العالمي لتماثُل التجارب التاريخية للأمم والشعوب، وجعل تلك التجارب أمام الحاكم متجاوِرةً مع التجارب الإسلامية، لذلك تمتلئ كتبه بتنوُّعٍ هائل من سير الملوك، وحِكَم القدماء من

الفرس والهنود واليونان.

ومن نماذج تلك المماثلة أنه جعل من سنة النبي ﷺ في المنام وسنَّة الملوك الفرس محلَّ موازنة، وساوَى بينها في الأهمية، كدلالة على أن المُلك مساوٍ للنبوة، بل يقول بعد أن عقد تلك الموازنة: "ففي هذا أكبر الأدلَّة وأوضح الحجة على ما ذكرنا؛ إذ كانت أنفُس الملوك هي الأنفس الخطيرة الرفيعة التي تُوزَن بنفوس كلِّ مَن أظلَّت الخضراء، وأقَلَّت الغبراء"(90).

ولمعرفة جذور ذلك التقديس، وأصول تلك المماثلة، رجع الثعالبي إلى التاريخ ليستفيد منه ويستأنس بما جاء فيه، فقال: "وكان الناس في زمان الأكاسرة يدعونهم الأرباب، ويقرون على أنفسهم بالعبودية، ولا يتجاسرون على أن يلبسوا ما يلبسه الملك من الثياب أو يركبوا ما يركبه من الدواب..." (91).

ثم إن رجوع الثعالبي إلى التاريخ الإسلامي بالتحديد ليستأنس به يعود إلى أن هذا التاريخ يُعَدُّ المرجعية للدولة الإسلامية، ومن ذلك كثير؛ ففي كل فصل من الكتاب تجد إشارة إلى سابقة من التاريخ الإسلامي، وإن كان هذا الرجوع لا يخرج عن كونه خدمةً لفكرة الفصل وعنوانه، سواء في السيرة النبوية، أو تجربة الخلفاء الراشدين السياسية، أو التجربة الملكية لبني أمية وبني العباس وملوك الأطراف.

(3) أسباب خاصة ببنية النص

ولعل من الأشياء التي تُفيد في تفسير ظاهرة استئناس الثعالبي بالسوابق التاريخية، في بنية النص (الزمن الثقافي للنص)، التركيز على النص كبنية ثابتة بعيداً عن كاتبه الثعالبي الذي يُعَدُّ في بعض أجزاء الكتاب حامِلاً فقط لذلك النص عبر زمنه الثقافي؛ ولأن ما نحن بصدَدِ البحث فيه هو نص محدَّد ومؤلَّف معروف، وزمان معروف، وكذلك لأن طبيعة بعض نصوص الآداب السلطانية ذات البنية الواحدة والثابتة، يصعب فيها التمييز بين مؤلف وآخر- فإن ذلك قد يجعل الباحث- في تفسير أسباب هذه الظاهرة- يتجه وجهة بنيوية؛ لتناصِّ هذه النصوص وتجانُسِها؛ كون المعنى في بعض جوانبها ثابتاً في النص، وليس في

الزمن الذي أنتجه، ولا في الظروف المحيطة به، ويغيب فيه مؤلِّفه، وبذلك يمكن القول: إن الآداب السلطانية تُشكِّل نوعاً خاصّاً من أنواع الكتابة السياسية.

لقد كان عز الدين العلام مُحِقّاً حينما رأى في ذلك التجانس بأنه لا فرق "أن يكون الطرطوشي مؤلِّفاً لـ(الشهب اللامعة)، وابن رضوان مؤلِّفاً لـ(سراج الملوك)؛ إذ الأمر لا يتعلق بكتابين مستقلَّيْن، بل بكتاب واحد"[92].

ومن نافلة القول أنه لا فرق- في حالة الثعالبي وفي بعض أجزاء من كتابه "آداب الملوك" - أن يكون الثعلبي مؤلِّفاً لـ"آداب الملوك"، والثعالبي مؤلِّفاً لـ(أخلاق الملوك)؛ إذ نحن في هذا النوع من النصوص أمام حالة يُعبِّر عنها البنيويون بموت المؤلف، وأمام نص مستقل بذاته يكون حضور المؤلف فيه شكليّاً، يلاحظ فيه اغتراب[93] المؤلِّف عن نصِّه الذي كتبه.

وفي مقدمة كتاب "آداب الملوك" تبدو حيرة الثعالبي في اختيار عنوان كتابه، حيث قال: "وكنت قد أردتُ أن أترجمه بالنسبة إلى الاسم الشريف -ثبَّته الله تعالى- فأخبَرَني أبوعبد الله محمد بن حامد أن بعض المؤلِّفين سبقني إليها فيما ألَّفه برَسْم المجلس - حَرَسَه الله وآنَسَه - من كتاب في علم الكلام، فقلت الآن: إن سَمَّيْتُه (الملوكي) كنت صادقاً، إن لقَّبْتُه (تحفة المملوك وعُدَّة الملوك) لم أكُ كاذِباً، لكني آثَرْتُ تفخيمه بالخوارزمي شاهي ليكون أنْبَهَ لاسمه، وأبعد لصِيتِه..."[94].

وبالنظر في عبارات الثعالبي في هذه المقدِّمة نلاحظ أن الكتاب، وإن كان الزمن قيد في كثير من فصوله -وفق المنهج التاريخي- إلا أنه في مساحات منه يلاحَظ فيه التقليد السائد بين مؤلِّفي الآداب السلطانية سار الثعالبي على نهجه، ويمكن ملاحظة هذا التقليد في عناوين الكتب والفصول، وما ورد فيها من حِكَم وأمثال، ونجد ما يستأنس به من سوابق لا تخرج عن تلك الإشكالية التي كشفنا عنها في النص، ومن ذلك ما جاء في أقاويل الملوك في السياسة، والسياسة الملوكية بين الخاصة والعامة، قال الثعالبي: "وسأل الوليد بن عبد الملك بن مروان أباه عن السياسة: ما هي؟ قال: احفظ عني يا بُنَيَّ، هي هيبةُ الخاصة مع صِدْق مودتها، واقتيادُ قلوبِ العامة بإنصافها، واحتمالُ هفوات الصنائع"[95].

وفي جدلية الخاصة والعامة نفسها رجع الثعالبي إلى تاريخ الدولة السامانية وأشار فيه إلى عادات الملوك في عصره في كثرة الاحتجاب عن العامة، ويرى في التوسط بين الاحتجاب والإذن، وبيّن أثر احتجاب الملك في زيادة هيبته أمام العامة، مستشهداً بقصة خروج الملك السامانى منصور بن نوح لرياضة ضرب الصوالجة أمام العامة، لما في ذلك قلة رؤية الناس له من هيبة[96].

وهذا المأثور التاريخي يعبِّر مع غيره من السوابق والحِكَم عن بنية هذا النوع من التآليف؛ إذ تجده يشق طريقه في رحلة لا يتوقَّف داخل كتب الآداب السلطانية ونصائح الملوك مع مجموعة أمثال وحِكَم كثيرة، فقد حطَّ رحاله في كتاب الماوردي "تسهيل النظر"[97]، كما جاء عند ابن قتيبة في "عيون الأخبار"[98].

وفي تبايُن لبس الملوك عن غيرهم من العامة يمكن ملاحظة تكرار ما أُثِر عن أردشير من استبدادٍ حتى في ملبسه في هذا النوع من كتب الآداب السلطانية؛ بحيث إذا وضع التاج على رأسه لم يضع أحد قضيبَ ريحان متشبِّهاً به، وقد استأنس الثعالبي بذلك، قال: "وكان كلٌّ من الأكاسرة إذا ركب في لبسه لم يُرَ على أحد مثلها، فإذا تختَّمَ بخاتم فحرامٌ على الرعية أن يتختَّموا بمثل ذلك الفَصِّ وإن بَعُد ما بينهما في التشابه، وهذه من أبهة الملوك، وطاعة أهل المملكة"[99].

ومثل ذلك عند الثعلبي في "أخلاق الملوك"، قال: "ألا ترى أن الأمم الماضية من الملوك لم يكن شيء أحب إليهم من أن يفعلوا شيئاً تعجز عنه الرعية، أو يتزيَّوا بزِيٍّ ينهون الرعية عن مثله! فمن ذلك أردشير بن بابك، وكان أنبلَ ملوك بني ساسان، كان إذا وضع التاج على رأسه لم يضع أحد في المملكة على رأسه قضيبَ ريحانٍ متشبِّهاً به، وكان إذا رَكِب في لبسةٍ لم يُرَ على أحدٍ مثلُها؛ وإذا تختَّم بخاتمٍ، فحرام على أهل المملكة أن يتختَّموا بمثل ذلك الفص، وإن بَعُد في التشابه"[100].

وفي مُطاعَمة الملوك فصل يتكرَّر في هذا النوع من الكتب كعنوان ومحتوى، تجده في كتاب "آداب الملوك"، وفي كتاب "أخلاق الملوك"، وما استأنس به الثعلبي في "أخلاق الملوك" من سوابق تاريخية، استأنس بها أيضاً أبو منصور الثعالبي في "آداب الملوك"، ومن ذلك أنهما أوردَا سابقةً تاريخية في عهد سابور، وهذا نصُّها في الكتابَيْن، وذلك حينما

"وصف له رجل من كورة إصطخر يصلح لقضاء القضاة في العلم والأمانة، فأمر بإحضاره، فلما دخل عليه دعاه إلى طعامه، وسافرت يده على الخوان، ورعى أرض الجيران، وفقأ عين الألوان، فلما رُفِعَت المائدة، وتنحَّى الرجل لغسل اليد، قال سابور للحاجب: قل للرجل: وَدِّعْ وانصرِفْ إلى أهلك، فإن آباءنا وسلفنا من الملوك كانوا يقولون: مَن شَرِه بين الملوك إلى الطعام كان إلى أموالِ الرعية والسُّوقَة أشدَّ شَرَهاً، ولم يَسْتَكْفِه ما كان أحضره له"[101].

وفي رسوم دخول الخاصة والعامة على السلطان خَصَّصَ الثعالبي فصلاً بعنوان: "فصل في الدخول على الملوك والقعود عندهم"، استأنس فيه بسابقة تاريخية لمالك بن أنس في عهد الرشيد، قال: "لَمَّا أراد مالك بن أنس الدخول على الرشيد أولَ دخلة قال للفضل بن الربيع: عَلِّمْنِي كيف أدخل إلى أمير المؤمنين، وكيف أُسلِّم عليه، وأين أقف من مجلسه"[102].

وغيرها من الشواهد والنصوص التي هاجَرَتْ عبر كتب الآداب السلطانية كنصوص تأسيسية كأقوال أردشير التي تُنُوقِلَتْ بكثرة خلال هذا النوع من الكتب، كمقولة: "الدين والملك أَخَوَان، فالدين أُسٌّ، والمُلْك حارِسٌ، فما لا أُسَّ له فهو مهدوم، وما لا حارس له فهو ضائع"[103]، وهي مقولة أزعمُ أنها بمثابة تقليد عند كُتَّاب الآداب السلطانية، وتشكِّل بنيةً لكتاباتهم، حاولوا من خلالها تأكيد علاقة الدين والسياسة، وهي شواهد أو سوابق تُنُوقِلَت واستُؤْنِسَ بها، ليس لقيمتها التاريخية، بل لأنها تشكِّل بنية ثابتة يمكن الكشف عنها من خلال إشكالية نص الثعالبي، التي تعبِّر عن زمن ثقافي محدَّد.

هذه البنى الثابتة التي يتشكَّل منها نص الثعالبي (جدلية الخاصة والعامة) هي ما يمكن التعبير عنه باللامفكَّر فيه في هذا النص؛ بحيث تجد الثعالبي يحشد كَمّاً كبيراً من السوابق والحوادث التاريخية تحت هذه الثنائية.

الخاتمة

يُلاحظ من خلال دراسة البيئة التي استنبت فيها نص الثعالبي تفوُّق الأسباب التاريخية المتعلِّقة ببيئة المؤلِّف، مع فاعلية أسباب بنية النص. وبذلك كشفت الدراسة عن

تاريخية الثعالبي؛ بحيث كان جزءاً من مجتمعه وبيئته، وجزءاً من بنية الزمان الثقافي الذي يوجِّه الكثير من النصوص السياسية التراثية.

إن حاجة الثعالبي لأن يقدّم نفسه ضمن البلاد السلطاني كمثقف حريص على مسيرة الدولة، دفعت به إلى المزيد من الثقافة بالاطلاع على التاريخ؛ ومن ثم الاستئناس بما فيه من سوابق تاريخية ليضع أمام الحاكم نماذج تاريخية من قبيل الاستفادة ومن قبيل العظة والعبرة.

إن حاجة الدولة الإسلامية في العصر العباسي لبناء منظومتها الإدارية، وحاجتها كذلك إلى قوانين مالية وإدارية تنظم الحياة السياسية والاقتصادية، وحاجتها إلى المشورة، دفعت بها إلى الاستعانة بالكتّاب؛ الأمر الذي دفع بهؤلاء الكتّاب - ومنهم الثعالبي- للرجوع إلى التاريخ كمادة أساسية، يمكن من خلالها وضع حلول عملية لمشكلات مالية وإدارية وسياسية مشابهة، كانت قد واجهت دولاً وأمماً سابقة.

أثرت البيئة على متن الثعالبي، فقد ألّف كتبه في أثناء رحلاته بين أقطار المشرق الإسلامي العديد من المؤلفات، وكل كتاب ألّفه وأهداه كان يناسب ذلك الظرف التاريخي، وكتاب "آداب الملوك" يقع ضمن ذلك السياق، وجاءت مادته استجابة لأوضاع خوارزم في فترة حكم الأمير مأمون، وجاءت صدى للعلاقات السياسية بين القوى الحاكمة في المشرق.

إن إشكالية نص الثعالبي التي تم الكشف عنها عند دراسة الكتاب توجّه الكثير من النصوص التاريخية التي استأنس بها الثعالبي.

أظهرت الدراسة فاعلية القراءة التكاملية في دراسة نص الثعالبي "آداب الملوك"؛ فمن خلال البحث تبيَّن أن المنهج البنيوي بتركيزه على النص يلغي كلَّ فاعلية للمؤلف، ويسلب ما له من تفرُّد وإرادة، ومن خلال المنهج التاريخي والتداولي -في حالة وَصْله بالنص- ومع جَدْوَاه في دراسة نص الثعالبي، فإنه تبيَّن مدى أهمية التركيز على المؤلِّف وعصره؛ الأمر الذي اتجه بالبحث وجهة تاريخية تبحث في ترجمة المؤلِّف بعيداً عن نصه الذي أنتجه.

أخيراً، مع حاجة الأبحاث في محيطنا البحثي إلى تفعيل المناهج الحديثة في دراسة الإنسان، وتحليل الخطاب، تُوصِي الدراسة بتلك الممارسة المنهجية التكاملية التي تَغُوص داخل النصوص وتحلِّلها وتفكِّكها، وتُعِيدُها بصورة أكثر وضوحاً، وذلك بدراسة النص أحياناً، أو بوَصْل النص بصاحبه في أحايِينَ أخرى؛ الأمر الذي يمكن من خلاله الوصول إلى مقاربات ونتائج جيدة مقارنةً بالدراسات التقليدية التي تعتمد المنهج التاريخي منهجاً أحاديّاً في تفسير النصوص وفهمها.

الهوامش والمراجع

(1) خرجت الرسالة في كتاب عن دار نور حوران في دمشق، 2021 م، تحت عنوان "الفكر السياسي والإداري في الحضارة الإسلامية": دراسة في اتجاهات السياسة ونُظُم الحُكْم في المشرق الإسلامي.. من قيام الدولة العباسية حتى نهاية العصر البويهي 132 ـ 447 هـ، وتقع في 680 صفحة من القطع المتوسط.

(2) دوركايم: **قواعد المنهج في علم الاجتماع**، ترجمة: محمود قاسم، السيد محمد بدوي، الإسكندرية: دار المعرفة الجامعية، 1988م، ص 50 – 53.

(3) ابن الحداد، محمد بن منصور بن حبيش. **الجوهر النفيس في سياسة الرئيس**، تحقيق: رضوان السيد، ط2 بيروت، مركز ابن الأزرق لدراسات التراث السياسي، مقدمة المحقق.

(4) العلام، عز الدين: "الآداب السلطانية"، **مجلة عالم المعرفة**، 324، الكويت، 324، (1427 هـ / 2006م)، ص27، 28.

(5) سالم أبو العلاء، وعبد الحميد الكاتب، وابن المقفع. ويفرِّق كمال عبد اللطيف بين كاتب الديوان والأديب السلطاني؛ بحيث يرى مهمة الأول الأساسية تتحدَّد في تحرير كل ما يحتاج إليه السلطان، وما يتطلَّبه التدبير السياسي اليومي، أنجزها كُتَّاب الديوان وموظفوه ومحرِّرُو الرسائل، بينما يرى أن الثاني مهمته تقديم تجارب الممارسة السياسية، وتجميع العبر والمأثورات لتبرير السلطة السائدة، أنجزها مؤرِّخُون وقضاة وفقهاء وفلاسفة، كما أنجز بعضها الأدباء والملوك والوزراء ورجال الدولة. يراجع: عبداللطيف، كمال: **في تشريح أصول الاستبداد.. قراءة في نظام الآداب السلطانية**، ط1، بيروت: دار الطليعة، 1999م، ص 54، 55.

(6) الآداب السلطانية، ص 9.

(7) جبرون، محمد: **نشأة الفكر السياسي الإسلامي وتطوره**، منتدى العلاقات العربية والدولية، (د.ت)، ص156.

(8) الآداب السلطانية، ص 8، 9.

(9) العاكوب، عيسى: **تأثير الحِكَم الفارسية في الأدب العربي**، ص 164 – 169.

(10) ابن الأنباري، عبد الرحمن بن محمد بن عبيد الله الأنصاري: **نزهة الألباء في طبقات الأدباء**، تحقيق:

إبراهيم السامرائي، ط3، الأردن: مكتبة المنار، الزرقاء، 1405هـ/ 1985م، ص 265، 266. ابن خلكان، أبوالعباس شمس الدين أحمد بن محمد بن إبراهيم: **وفيات الأعيان**، تحقيق: إحسان عباس، بيروت: دار صادر، 178/3، 179. الذهبي، شمس الدين أبو عبد الله: **سير أعلام النبلاء**، ط3، بيروت: مؤسسة الرسالة، 1405هـ/ 1985م، 17 / 437، 438. الصفدي، صلاح الدين خليل بن أيبك: **الوافي بالوفيات**، تحقيق: أحمد الأرناؤوط وتركي مصطفى، بيروت: دار إحياء التراث، 1420هـ/ 2000م، 19/ 130، 131.

(11) السمعاني، عبد الكريم بن محمد: **الأنساب**، تحقيق: عبد الرحمن المعلمي، ط1، حيدرآباد: مجلس دائرة المعارف العثمانية، 1382هـ/1962م، 3/ 132. وفيات الأعيان، 3 / 180.

(12) الحوفي، أحمد محمد: **تيارات ثقافية بين العرب والفرس**، ط3، القاهرة: دار نهضة مصر، 1388هـ/ 1968م، ص 205.

(13) محمد، بدر عبد الرحمن: **رحلات أبي منصور الثعالبي في المشرق الإسلامي وآثاره العلمية والأدبية**، القاهرة: مكتبة الأنجلو المصرية، (د.ت)، ص 8.

(14) الوافي بالوفيات، 132/19. الجارد، محمود عبد الله: "دراسة توثيقية في مؤلفات الثعالبي"، **مجلة البحوث والدراسات العربية**، ع 12، العراق، (1403هـ/1983م)، ص 241.

(15) هو محمد بن العباس أبو بكر الخوارزمي، الشاعر المشهور، يقال له: الطبرخزي؛ لأن أمه من خوارزم، وأباه من طبرستان، توفي في نيسابور سنة 383هـ/ 993م. يراجع: الحموي، شهاب الدين أبو عبد الله ياقوت: **معجم الأدباء**، تحقيق: إحسان عباس، ط1، بيروت: دار الغرب الإسلامي، 1414هـ/ 1993م، 2543/6.

(16) هو أبو الفضل عبيد الله بن أحمد المكيالي، أشاد به الثعالبي وبآل مكيال عموماً، وبفضلهم، وقال: "وأبوالفضل يزيد على الأسلاف من آل مكيال زيادة الشمس على البدر..". يراجع: الثعالبي، عبد الملك بن محمد: **يتيمة الدهر في محاسن أهل العصر**، تحقيق: مفيد قميحة، ط1، بيروت: دار الكتب العلمية، 1403هـ/ 1983م، 4 / 407.

(17) الجرجانية: اسم لقصبة إقليم خوارزم: مدينة عظيمة على شاطئ جيحون، وأهل خوارزم يسمّونها بلسانهم كركانج فعرّبت إلى الجرجانية، وكان يقال لمدينة خوارزم في القديم فيل ثم قيل لها المنصورة، وكانت في شرقي جيحون فغلب عليها جيحون، وخرّبها، يراجع، الحموي، ياقوت: معجم البلدان، 2 / 122.

(18) الثعالبي، عبد الملك بن محمد: **المبهج**، تحقيق: إبراهيم صالح، ط1، بيروت: دار البشائر، 1420هـ/ 1999م، ص 23.

(19) مثل: نيسابور مسقط رأسه، وبخارى، وإسفرائين، وجرجان، وغزنة، وهراة.

(20) رحلات أبي منصور الثعالبي في المشرق الإسلامي وآثاره العلمية والأدبية، ص 59 – 61 .

(21) هراة: مدينة عظيمة مشهورة من أمهات مدن خراسان، لا أحسن ولا أعظم ولا أفخم ولا أكثر أهلاً منها. يراجع، معجم البلدان، 5 / 396.

(22) الثعالبي، عبد الملك بن محمد: **ثمار القلوب**، القاهرة: دار المعارف، ص 3. رحلات أبي منصور الثعالبي في المشرق الإسلامي وآثاره العلمية والأدبية، ص 74 – 78.

(23) الوافي بالوفيات، 19/ 132، 133. لمزيد من تواليفه يراجَع: دراسة توثيقية في مؤلفات الثعالبي.

(24) ابن الجوزي، عبد الرحمن بن علي بن محمد: **المنتظم في تاريخ الأمم والملوك**، تحقيق: محمد عطا، مصطفى عطا، ط1، بيروت: دار الكتب العلمية، 1412هـ/ 1992م، 14/ 353. ابن الأثير، علي بن أبي الكرم محمد: **الكامل في التاريخ**، تحقيق: عمر عبد السلام تدمري، ط1، بيروت: دار الكتاب العربي، 1417هـ/ 1997م، 7 / 158، 745. رحلات أبي منصور الثعالبي في المشرق الإسلامي وآثاره العلمية والأدبية، ص 13.

(25) هو أبو الحسن محمّد بن إبراهيم بن سيمجور، صاحب جيوش خراسان من جهة الأمير منصور بن نوح السامانى، يراجع: الكامل في التاريخ، 8 / 626.

(26) الكامل في التاريخ، 7 / 457، 458.

(27) الكامل في التاريخ، 7 / 497 وما بعدها.

(28) جُرْجان: مدينة عظيمة بين طبرستان وخراسان، وهي أرض سهلية جبلية، وأول من أحدث بناءها يزيد بن المهلب، خرج منها الأدباء والعلماء والفقهاء والمحدثين، ولها تاريخ ألّفه حمزة بن يزيد السهمي- استفاد منه الباحث في ترجمة بعض العلماء. يراجع: أحسن التقاسيم في معرفة التقاسيم، ص 354. معجم البلدان، 2 / 119.

(29) غَزْنَةُ: مدينة عظيمة وولاية واسعة في طرف خراسان، وهي مدينة جليلة عامرة كثيرة الأسواق ذات تجارات وتجار مياسير، وهي الحد بينها وبين الهند، ومنها يدخل إلى بلاد الهند، نسب إليها عدد كبير من العلماء، كانت منزلة بني محمود بن سبكتكين إلى أن انقرضوا. يراجع: الإدريسي، محمد بن محمد(ت 560 هـ / 1165 م): **نزهة المشتاق في اختراق الآفاق**، ط1، بيروت: عالم الكتب، 1409 هـ/ 1988 م، 1 / 460. معجم البلدان، 4 / 201.

(30) الثعالبي، عبد الملك بن محمد: **يواقيت المواقيت في مدح الشيء وذَمِّه**، مخطوط رقم 2-1171، وقف راغب باشا، مقدمة المؤلف، الورقة الأولى.

(31) يتيمة الدهر، 4/ 405 – 407.

(32) الكامل في التاريخ، 7 / 455، 456.

(33) المبهج، ص 23.

(34) العتبي، محمد بن عبد الجبار: **اليميني**، تحقيق: إحسان ذنون عبد اللطيف الثامري، ط1، بيروت: دار الطليعة، 1424هـ/ 2004م، ص 180، 188.

(35) يتيمة الدهر، 4/ 505 .

(36) نظرية الاستحالة هي قاعدة عند ابن خلدون في تمييز الحق من الباطل في الأخبار، والصدق من الكذب، بوجه برهاني لا مدخل للشك فيه، استعمل لفظة استحالة في نقده لأخبار المسعودي. يراجع: ابن خلدون، عبد الرحمن أبو زيد ولي الدين(808 هـ): **مقدمة ابن خلدون**، ط7، القاهرة: دار نهضة مصر 2014 م، 1 / 330، 332 ، 332.

(37) الثعالبي، عبد الملك بن محمد بن إسماعيل أبو منصور: **آداب الملوك**، إعداد وتقديم: عبد الحميد حمدان،

ط1، القاهرة: عالم الكتب، 1428هـ/ 2007م، ص 47، 180، 186.

(38) آداب الملوك، ص 47، 187.

(39) آداب الملوك، ص 56، 97، 181.

(40) الآداب السلطانية، ص 75، 88.

(41) آداب الملوك، ص 203، 204.

(42) آداب الملوك، ص 237.

(43) هو أردشير بن بابك مؤسس الدولة الساسانية التي ظل ملوكها يتولون الحكم حتى ظهور الإسلام، بعد أن ثار على أردوان آخر ملوك الطوائف، وقد أعاد للإمبراطورية الفارسية مجدها القديم، وردَّ لعقيدة زرادشت مكانتها القديمة وعمد إلى إحياء رسومها، توفي سنة 242م ، انظر: الطبري، محمد بن جرير(ت 310 هـ / 922 م): **تاريخ الرسل والملوك**، ط2، بيروت: دار التراث، 1387 هـ/ 1968 م، 2 / 37 ، 38 ، 39. الثعالبي، أبو منصور: غرر أخبار ملوك الفرس وسيرهم، (د.ط)، باريس: المطبعة الوطنية، 1318هـ / 1900 م، ص 476. عهد أردشير: تحقيق: إحسان عباس، (د.ط)، بيروت: دار صادر، 1387 هـ/ 1967 م، مقدمة المحقق، ص7،8.

(44) آداب الملوك، ص 52، 69، 70، 71، 74، 83، 86، 202، 206، 221، 238.

(45) آداب الملوك، ص 52، 57، 58، 87، 93، 99، 182، 228، 229.

(46) آداب الملوك، ص 197.

(47) آداب الملوك، ص 60، 196، 199، 223، 244.

(48) آداب الملوك، ص 68، 199.

(49) كتاب الجهشياري الذي بين أيدينا، توقَّف عند وزارة الفضل بن سهل في عهد الخليفة العباسي المأمون، وقد وجد ميخائيل عواد عدداً من النصوص الضائعة تغطِّي جزءاً مما ضاع من الكتاب في عهد المأمون والمعتصم والواثق والمتوكل والمعتز والمعتمد والمعتضد، واعتمد فيها على كتابَي الفرج بعد الشدة للنوبختي، ومعجم الأدباء للحموي، ووفيات الأعيان، وغيرها. يراجع: عواد، ميخائيل: "القسم الضائع من كتاب الوزراء والكُتَّاب للجهشياري"، **مجلة المجمع العلمي العربي**، مج 18، الجزء 9، 10، سوريا، 1362هـ/ 1943 م.

(50) آداب الملوك، ص 45.

(51) آداب الملوك، ص 46.

(52) كحركة فريد، وسنباذ وأستاذ سيس، يراجع: ابن الأثير، أبو الحسن علي بن أبي الكرم (ت 630هـ/ 1232م): **الكامل في التاريخ**، تحقيق: عمر عبد السلام تدمري، ط1، بيروت: دار الكتاب العربي، 1417 هـ/ 1997، 5/ 162. ابن النديم، أبو الفرج محمد (ت 384 هـ / 994 م): **الفهرست**، تحقيق: أيمن فؤاد السيد، ط2، لندن: مؤسسة الفرقان للتراث الإسلامي، 1435 هـ/ 2014 م، 9 / 420.

(53) النجعي، علي بن حسن: **الفكر السياسي والإداري: (قراءة في اتجاهات الكتابة في السياسة ونظم الدولة في**

المشرق الإسلامي من قيام الدولة العباسية وحتى نهاية العصر البويهي 132 – 447 هـ)، ط1، دمشق: دار نور حوران، 2020 م، ص 204، 205.

(54) آداب الملوك، ص 29.

(55) **الفكر السياسي: والإداري**: (قراءة في اتجاهات الكتابة في السياسة ونظم الدولة في المشرق الإسلامي من قيام الدولة العباسية حتى نهاية العصر البويهي 132 – 447 هـ)، ص 204، 205.

(56) فايزو، نبيل: **دولة الفقهاء**، منتدى المعارف، 2015 م، ص 130.

(57) آداب الملوك، ص 126.

(58) آداب الملوك، ص 126.

(59) آآداب الملوك، ص 133.

(60) آداب الملوك، ص 53.

(61) آداب الملوك، ص 96.

(62) آداب الملوك، ص 86.

(63) البيهقي، أبو الفضل محمد بن حسين (ت 440 هـ): **تاريخ البيهقي**، ترجمة: يحيى الخشاب، وصادق نشأت، مصر: دار الطباعة الحديثة، (د.ت)، ص 736.

(64) الدويش، عبد الستار مطلك: "مملكة خوارزم في عهد بني مأمون وعلاقتها بالسلطان محمود الغزنوي منذ سنة (385 –407 هـ/ 995 – 1016 م)"، **مجلة جامعة الأنبار للعلوم الإنسانية**، العدد 4، 2011 م، ص 113.

(65) الكامل في التاريخ، 7 / 490 ، 491.

(66) آداب الملوك، ص 110 ، 111.

(67) آداب الملوك، ص 96.

(68) آداب الملوك، ص 96.

(69) تاريخ البيهقي، ص 734 ، 735.

(70) آداب الملوك، ص 144.

(71) آداب الملوك، ص 179.

(72) الطراونة، نعمات عوض: **ديوان الرسائل في العصر العباسي الأول ونشاطه الأدبي**، رسالة دكتوراه في اللغة العربية غير منشورة، جامعة مؤته، الأردن، 1429 هـ/ 2008 م، ص 29.

(73) الأدب العربي في العصر العباسي الأول، ص 527.

(74) الفكر السياسي والإداري، ص 204، 205.

(75) آداب الملوك، ص 142.

(76) آداب الملوك، ص 136.

(77) آداب الملوك، ص 69.

(78) آداب الملوك، ص 70.

(79) آداب الملوك، ص 202.

(80) آداب الملوك، ص 48.

(81) آداب الملوك، ص 72.

(82) بوتشيش، إبراهيم القادري: **خطاب العدالة في كتب الآداب السلطانية**، ط1، قطر: المركز العربي للأبحاث، 2014 م، ص 25، 26.

(83) هيجل: **العالم الشرقي**، ترجمة: إمام عبد الفتاح إمام، ط3، بيروت: دار التنوير للطباعة والنشر، 1426هـ/ 2007م، ص 16.

(84) الآداب السلطانية، ص 17، 18.

(85) نسبة إلى المقنع، ويطلق عليه بعض المؤرخين حكيم المقنع، اتخذ وجهه من ذهب لقبحه ربما؛ لأنه كان أعور، وقصيراً، ظهر في خراسان وادعى الألوهية، تصدى له جيش المهدي وحاصره وانتحر بالسم، البدء والتاريخ، 6 / 97. الكامل في التاريخ، 5 / 211.

(86) يتيمة الدهر، 5/ 166.

(87) آداب الملوك، ص 38.

(88) القرى، أحمد، وآخرون: "الآداب السلطانية في التجربة التاريخية الإسلامية"، **مجلة الحكمة للدراسات الاجتماعية**، ع 2، (2019م)، ص 151.

(89) تاريخ ابن خلدون، ص 14.

(90) أخلاق الملوك، 137، 138.

(91) آداب الملوك، ص 38.

(92) الآداب السلطانية، ص 93.

(93) الاغتراب مفهوم أبدعه الفيلسوف لودفيغ فويرباخ، وأخذه عنه فريدريك هيجل، ثم كارل ماركس. ويعني عندهم الاستلاب، يراجع: مخطوطات ماركس، تعريب: محمد مستجير مصطفى، دار الثقافة الجديدة، (د.ت)، مقدمة المترجم، ولكنْ كلٌّ بحسب فلسفته وسياقه، وهنا استفدت من المصطلح في كون المنهج البنيوي يعمل على سَلْب النص من كاتبه.

(94) آداب الملوك، ص 32.

(95) آداب الملوك، ص 82.

(96) آداب الملوك، ص 104 ، 109.

(97) الماوردي، أبو الحسن علي بن محمد: **تسهيل النظر وتعجيل الظفر في أخلاق الملك**، تحقيق: محيي هلال السرحان وحسن الساعاتي، بيروت: دار النهضة العربية، ص 266.

(98) ابن قتيبة، أبو محمد عبد الله بن مسلم: **عيون الأخبار**، بيروت: دار الكتب العلمية، 1418هـ، 1/ 11.

(99) آداب الملوك، ص 206.

(100) الثعلبي، محمد بن الحارث: أخلاق الملوك، تحقيق: جليل العطية، بيروت: دار الطليعة، (د.ت)، ص 71.

(101) آداب الملوك، ص 238، 239. أخلاق الملوك، ص 44، 45.

(102) آداب الملوك، ص 231.

(103) **عهد أردشير**، تحقيق: إحسان عباس، بيروت: دار صادر للطباعة والنشر، 1387هـ/ 1967م، ص 53.

المراجع بالحروف اللاتينية

References in Roman Script

(1) Ğbrūn, Mḥmd, Nšʾaẗ Al-Fkr Al-Sīāsī Al-Islāmī ūṭṭūrh, mntdi al-ʿlāqāt al-ʿrbīẗ wāldūlīẗ, (d.t), ṣ 156.

(2) Alsmʿānī, ʿbd Al-Krīm Bn Mḥmd, Al-ʾansāb, Tḥqīq: ʿbd al-rḥmn al-mʿlmī, ṭ1, ḥīdrʾābād: mğls dāʾirẗ al-mʿārf al-ʿṯmānīẗ, 1382h/1962m, 3/ 132. ūfīāt al-ʾaʿīān, 3 / 180.

(3) Alḥūfī, Aḥmd Mḥmd, tīārāt ṯqāfīẗ bīn al-ʿrb wālfrs, ṭ3, al-qāhrẗ: dār nhḍẗ mṣr, 1388h/ 1968m, ṣ 205.

(4) Mḥmd, Bdr ʿbd Al-Rḥmn, rḥlāt abī mnṣūr al-ṯʿālbī fī al-mšrq al-islāmī ūʾāṯārh al-ʿlmīẗ wālʾadbīẗ, al-qāhrẗ: mktbẗ al-ʾanğlū al-mṣrīẗ, (d.t), ṣ 8.

(5) Alwāfī Bālūfīāt, 19/132. al-ğārd, mḥmūd ʿbd al-lh, drāsẗ tūṯīqīẗ fī muʾlfāt al-ṯʿālbī, mğlẗ al-bḥūṯ wāldrāsāt al-ʿrbīẗ, ʿ 12, al-ʿrāq, (1403h/1983m), ṣ 241.

(6) Hū Mḥmd Bn Al-ʿbās Abū Bkr Al-Ḫwārzmī, Al-Šāʿr Al-Mšhūr, īqāl lh: al-ṭbrḫzī; lʾan amh mn ḫwārzm, ūʾabūh mn ṭbrstān, tūfī fī nīsābūr snẗ 383h/ 993m. īrāğʿ: al-ḥmwy, šhāb al-dīn abū ʿbd al-lh īāqūt, mʿğm al-ʾadbāʾ, tḥqīq: iḥsān ʿbās, ṭ1, bīrūt: dār al-ġrb al-islāmī, 1414h./ 1993m, 6/2543.

(7) Alṯʿālbī, ʿbd Al-Mlk Bn Mḥmd, Al-Mbhğ, tḥqīq: ibrāhīm ṣālḥ, ṭ1, bīrūt: dār al-bšāʾir, 1420h/ 1999m, ṣ 23.

(8) Rḥlāt Abī Mnṣūr Al-Tʿālbī fī Al-Mšrq al-islāmī ūʾāṯārh al-ʿlmīẗ wālʾadbīẗ, ṣ 59 ... 61 .

(9) Hrāẗ: mdīnẗ ʿẓīmẗ mšhūrẗ mn amhāt mdn ḫrāsān aḥsn ūlā aʿẓm ūlā afḫm ūlā akṯr ahlā' mnhā. īrāğʿ, al-ḥmwy: mʿğm al-bldān, 5 / 396.

(10) Alṯʿālbī, ʿbd Al-Mlk Bn Mḥmd, Ṯmār Al-Qlūb, al-qāhrẗ: dār al-mʿārf, ṣ 3. rḥlāt abī mnṣūr al-ṯʿālbī fī al-mšrq al-islāmī ūʾāṯārh al-ʿlmīẗ wālʾadbīẗ, ṣ 74 ... 78.

(11) Hū Abū Al-Ḥsn Mḥmwd Bn Ibrāhīm Bn Sīmğūr, ṣāḥb ğīūš ḫrāsān mn ğẖẗ al-ʾamīr mnṣūr bn nūḥ al-sāmānī, īrāğʿ, al-kāml fī al-tārīḫ, 8 / 626.

(12) Alṯʿālbī, ʿbd Al-Mlk Bn Mḥmd, īwāqīt Al-Mwāqīt fī mdḥ al-šīʾ ūḏamwih, mḫṭūṭ rqm 2-1171, ūqf rāġb bāšā, mqdmẗ al-muʾlf, al-ūrqẗ al-ʾaūli.

(13) Alʿtbī, Mḥmd Bn ʿbd Al-Ğbār, al-īmīnī, tḥqīq: iḥsān ḏnūn ʿbd al-lṭīf al-ṯāmrī, ṭ1, bīrūt: dār al-ṭlīʿẗ, 1424h/ 2004m, ṣ 180, 188.

(14) Alṯʿālbī, ʿbd Al-Mlk Bn Mḥmd Bn Ismāʿīl abū mnṣūr, adāb al-mlūk, iʿdād ūtqdīm: ʿbd al-ḥmīd ḥmdān, ṭ1, al-qāhrẗ: ʿālm al-ktb, 1428h/ 2007m, ṣ 47, 180, 186.

(15) Kḥrkẗ Frīd, ūsnbāḏ ūʾastāḏ sīs, īrāğʿ, abn al-ʾaṯīr, abū al-ḥsn ʿlī bn abī al-krm(t 630 h / 1232 m): al-kāml fī al-tārīḫ, tḥqīq: ʿmr ʿbd al-slām tdmrī, ṭ1, bīrūt: dār al-ktāb al-ʿrbī, 1417 h / 1997, 5 / 162. al-ndīm, abī al-frğ mḥmd(t 384 h / 994 m): al-fhrst, tḥqīq: aīmn fuʾād al-sīd, ṭ2, lndn:

muʾssẗ al-frqān lltrāṯ al-islāmī, 1435 h / 2014 m, 9 / 420.

(16) Alnǧʿī, ʿlī Bn Ḥsn, al-fkr al-sīāsī wālidārī (qrāʿẗ fī atǧāhāt al-ktābẗ fī al-sīāsẗ ūnẓm al-dūlẗ fī al-mšrq al-islāmī mn qīām al-dūlẗ al-ʿbāsīẗ ūḥti nhāīẗ al-ʿṣr al-bwyhī 132 ... 447 h), ṭ1, dmšq: dār nūr ḥūrān, 2020 m, ṣ 204, 205.

(17) Alnǧʿī, ʿlī Bn Ḥsn, al-fkr al-sīāsī wālidārī (qrāʿẗ fī atǧāhāt al-ktābẗ fī al-sīāsẗ ūnẓm al-dūlẗ fī al-mšrq al-islāmī mn qīām al-dūlẗ al-ʿbāsīẗ ūḥti nhāīẗ al-ʿṣr al-bwyhī 132 ... 447 h), ṭ1, dmšq: dār nūr ḥūrān, 2020 m, ṣ 204, 205.

(18) Albīhqī, Abū Al-Fḍl Mḥmd Bn Ḥsīn (t 440 h): tārīẖ al-bīhqī, trǧmẗ: īḥīi al-ḫšāb, ūṣādq nšʾat, mṣr: dār al-ṭbāʿẗ al-ḥdīṯẗ, (d.t), ṣ 736.

(19) Aldwyš, ʿbd Al-Stār Mṭlk: mmlkẗ ẖwārzm fī ʿhd bnī mʾamūn ūʿlāqthā bālslṭān mḥmūd al-ġznwy mnḏ snẗ (385... 407 h / 995 ... 1016 m), mǧlẗ ǧāmʿẗ al-ʾanbār llʿlūm al-insānīẗ, al-ʿdd 4, 2011 m, ṣ 113.

(20) Alṭrāūnẗ, Nʿmāt ʿūḍ: dīwān al-rsāʾil fī al-ʿṣr al-ʿbāsī al-āūl ūnšāṭh al-ʾadbī, rsālẗ dktūrāh fī al-lġẗ al-ʿrbīẗ ġīr mnšūrẗ, ǧāmʿẗ muʾth, al-ʾardn, 1429 h / 2008 m, ṣ 29.

(21) Būtšīš, Ibrāhīm Al-Qādrī, Ḫṭāb Al-ʿdālẗ fī ktb al-ʾādāb al-slṭānīẗ, ṭ1, qṭr: al-mrkz al-ʿrbī llʾabḥāṯ, 2014 m, ṣ 25, 26.

(22) Hīǧl, Al-ʿālm Al-Šrqī, trǧmẗ: imām ʿbd al-ftāḥ imām, ṭ3, bīrūt: dār al-tnwyr llṭbāʿẗ wālnšr, 1426h/ 2007m, ṣ 16.

(23) Nsbẗ lli Al-Mqnʿ, wyṭlq ʿlīh bʿḍ al-muʾrẖīn ḥkīm al-mqnʿ, atḫḏ ūğhh mn ḏhb lqbḥh rbmā; lʾanh kān aʿūrā; ūqṣīrā; ẓhr fī ẖrāsān ūʾadʿi al-ʾalūhīẗ, tṣdi lh ǧīš al-mhdī ūḥāṣrh wānṭḥr bālsm, al-mqdsī, al-mṭhr bn ṭāhr: al-bdʾ wāltārīẖ, 6 / 97. abn al-ʾaṯīr: al-kāml fī al-tārīẖ, 5 / 211.

(24) Alqri, Aḥmd, Aẖrūn, Al-ʾādāb al-slṭānīẗ fī al-tǧrbẗ al-tārīẖīẗ al-islāmīẗ, mǧlẗ al-ḥkmẗ lldrāsāt al-āğtmāʿīẗ, ʿ 2, (2019m), ṣ 151.

(25) Alāġtrāb Mfhūm Abdʿh Al-Fīlsūf Lūdfīġ fwyrbāẖ, ūʾaḫḏh ʿnh frīdrīk hīǧl, ṯm kārl mārks. wyʿnī ʿndhm al-āstlāb, īrāǧʿ: mḫṭūṭāt mārks, tʿrīb: mḥmd mstǧīr mṣṭfi, dār al-ṯqāfẗ al-ǧdīdẗ, (d.t), mqdmẗ al-mtrǧm, ūlkn klw' ḥsb flsfth ūsīāqh, ūhnā astfdt mn al-mṣṭlḥ fī kūn al-mnhǧ al-bnīwy īʿml ʿli sal'b al-nṣ mn kātbh.

(26) Almāūrdī, Abū Al-Ḥsn ʿlī Bn Mḥmd, tshīl al-nẓr ūtʿǧīl al-ẓfr fī aḫlāq al-mlk, tḥqīq: mḥī hlāl al-srḥān ūḥsn al-sāʿātī, bīrūt: dār al-nhḍẗ al-ʿrbīẗ, ṣ 266.

(27) Abn Qtībẗ, Abū Mḥmd ʿbd Allah Bn Mslm, ʿīūn al-ʾaḫbār, bīrūt: dār al-ktb al-ʿlmīẗ, 1418h., 1/ 11.

(28) Alṯʿlbī, Mḥmd Bn Al-ḥārṯ, aḫlāq al-mlūk, tḥqīq: ǧlīl al-ʿṭīẗ, bīrūt: dār al-ṭlīʿẗ, (d.t), ṣ 71.

(29) ʿhd Ardšīr, Tḥqīq: iḥsān ʿbās, bīrūt: dār ṣādr llṭbāʿẗ wālnšr, 1387h./ 1967m, ṣ 53.